كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٢) يونيو ٢٠٢٣م

منهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة القرآنية

الدكتور

مجدي محمد محمد أحمد عبدالله

مدرس التفسيروعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

يهدف هذا البحث إلى تأطير منهج واضح المعالم محدد الأركان، يمكن من خلاله معرفة الوسائل التي اعتمد عليها العلماء في بيان الهدف العام للسورة؛ ذلك لأن هذه الوسائل جاءت متفرقة في كتبهم، منثورة في مؤلفاتهم، يُشار إليها مرة تنظيرا، وتُذكر أخرى تطبيقا، فكانت هذه الدراسة المتواضعة التي أجمع فيها ما فُرق، وأرتب بها ما نُثر على نحو يبلور هذا المنهج.

وقد التزمت في بحثي " المنهج الاستقرائي "، واقتضت طبيعة الدراسة أن ينتظم البحث في: مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أسباب اختياري للموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث وخطته، وأما التمهيد فقد اشتمل على مطلبين، عرضت في الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث، ثم تناولت في الثاني: خصائص الهدف العام للسورة، وأما المباحث فقد تناولت في الأول: أدلة وحدة الهدف في السورة، وتحدثت في الثاني عن: جهود العلماء في دراسة الهدف العام، وفي الثالث: تناولت منهج العلماء في بيان الهدف العام، وذلك من خلال عرض الوسائل التي اعتمدوا عليها في ذلك، وقد جمعتها في (ثماني عشرة) وسيلة، ورتبتها على النحو التالي: النظر الدقيق في افتتاحية السورة، والقراءة الجيدة لخاتمة السورة، والربط بين فاتحة السورة وخاتمتها، والاستعانة بخواتيم السورة لبيان هدف التي تليها، والرجوع إلى زمان النزول، والتأمل في اسم السورة الذى اشتهرت به، والنظر في الأسماء الأخرى، والربط الدقيق بين القضايا الخاصة في السورة، والتمييز بين القضايا الخاصة الأصيلة والمعاني الفرعية، والاستعانة ببعض السور في بيان أهداف بعض السور الأخرى، والوقوف على فضائل السورة، والعلم بموقع السورة وترتيبها، وإدراك دلالات تكرار الألفاظ والآيات، والتدبر في تكرار المعاني، والنظر في القصة القرآنية، والوقوف على سبب النزول، وفهم مقاصد القرآن، والوقوف على مرويات السلف، مع الاهتمام بذكر الأمثلة من أقوال المفسرين تحت كل وسيلة، وفي المبحث الرابع: ذكرت ثلاث وسائل أخرى وفّق الله إليها من خلال معايشتي لهذا الموضوع، وهي: التأمل في الفرائد القرآنية، والنظر في الأسلوب الغالب على السورة، والتدبر في الأحكام الشرعية الواردة في السورة.

ثم كانت الخاتمة، وضمنتها النتائج والتوصيات، وانتهى الباحث إلى جملة من النتائج، منها: أن وحدة الهدف في السورة حقيقة قرآنية ومعجزة بيانية، وأن تحديد الهدف العام أمر مبني على الاجتهاد ودقة الاستنباط، وأن علماءنا قد اهتموا اهتماما بالغا بدراسة الهدف العام للسورة، وأنهم قد اعتمدوا في بيان الهدف العام على جملة من الوسائل تشكل في مجموعها منهجا متكاملا في هذا الجانب، كما أوصى الباحث بضرورة تناول كل وسيلة بدراسة خاصة، وأن يفرد كل مفسر ممن عُنى بهذه القضية بدراسة مستقلة.

الكلمات المفتاحية: منهج، العلماء، بيان، الهدف العام، السورة القرآنية.

The method of scholars in the study of the general purpose of the Surah (Quranic chapter)

Abstract:

This paper aims to provide a lucid and developed framework for locating the means by which scholars could define the overarching purpose of the Suras (Quranic chapters). Such means are dispersed in their writings, sometimes in the form of theory-making while others through application. This study therefore assembles such means and orders them in such a way as to crystalize the proposed framework. In so doing, I implement the "inductive reasoning" methodology. The study is organized as follows: an introduction, a preamble, four sections, and a conclusion. In the introduction, I explain the reasons that motivated the study, the methodology, the relevant previous studies, and the problem and plan of the study. In the preamble, I address two main points, the first of which introduces the terminologies contained in the title, and the second explores the features that characterize the general purpose of the Surah. The first section presents the evidence of the unified purpose in Suras generally. The second section exhibits the contributions scholars made on this topic. The third section explains the methodology scholars followed in the study of the general purpose of the Surah via exploring the means that formulated such methodology, the total of which is eighteen.

Their order is as follows: Attentive and minute consideration of the beginnings of Suras, the careful reading of the Suras' endings, connecting the beginnings of Suras with their respective endings, relying on the endings of the Surah to explain the purpose of its successive Surah, consulting the occasion of revelation, factoring the most famous names by which Suras are known for in the company of their other names, observing the subtle connections holding together the issues addressed in the Surah, making a distinction between the special issues germane to the Surah and the secondary meanings, relying on some Surahs to discover the general purpose of other verses, reflecting on the merits of the Suras, factoring the order of Suras, recognizing the implications of repeated verses and words, reflecting on the repetitions of meanings, contemplating the stories in the Quran, locating the occasions of revelation, understanding the general objectives of the Quran, and consulting the reports of the early generations [of Muslims]. I ensure to reference exemplary quotations from exegetes under each of the previous means. The fourth section adds three more means Allah blessed me with as a result of my deep reading of this topic. They are: reflecting on the

lessons of the Quran, attending to the overarching theme in each Surah, and studying the legal rulings mentioned in the Suras.
In the conclusion, I list the findings and some recommendations. To name a few of the findings: the unity of purpose in the Suras is a Quranic fact and a linguistic miracle. Pinning down such general purposes is based on an Ijtihad and accuracy of deduction. Our scholars have paid a special attention to the study of the general purpose of the Surah, relying on a number of means that collectivelt constitute a fully developed methodology in this regard. The writer of this paper recommends a special and dedicated study of each mean as well as devoting an independent study for each exegete who was concerned with this topic.
Keywords: Method, Scholars, Explanation, General Purpose, Quranic Chapter.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن انتقال السورة من موضوع إلى آخر بأرقى درجات السبك إحكاما، وأعلى طبقات البيان بهاء، لهو مظهر بديع من مظاهر الإعجاز القرآني، وخرق لما جرت عليه عادة البلغاء في كلامهم، حيث تتفاوت فصاحتهم وتتمايز بلاغتهم ويعتريهم النقص عند الانتقال من غرض إلى آخر، بل إن كثيرا منهم لا تعرف فصاحته ولا تظهر بلاغته إلا في نوع واحد من الكلام كالمدح أو الهجاء أو الرثاء، ثم إن بلاغة القرآن تتعاظم حتى تصل إلى أقصى درجاتها عندما تترابط هذه الموضوعات المتعددة، وتنسجم جميعها، وتنتظم تحت محور واحد، سماه بعض العلماء " الهدف العام للسورة ".

وذلك مع تنوع وتفنن في أساليب الأداء، مع التعالي على الدواعي المفككة للنظم من تنجيم وتفريق لآيات السورة في زمن النزول، وتعدد لأسباب نزول الآيات وتباين الظروف والأحوال.

هذا، وقد اتجهت عناية كثير من علمائنا الأجلاء- قديما وحديثا- نحو دراسة هذا الهدف العام، فذكروا من بين ما ذكروا -أثناء معالجتهم لهذا الموضوع- بعض الوسائل التي تعين على تحديد الهدف العام وبيانه، وذلك كالنظر الدقيق في فاتحة السورة أو خاتمتها، أو التأمل في فضائلها، أو الرجوع إلى زمان نزول السورة، إلى غير ذلك من الوسائل والمحددات الأخرى، غير أن هذه الوسائل جاءت متفرقة في كتبهم، منثورة في مؤلفاتهم، فكانت هذه الدراسة المتواضعة التي أجمع فيها ما فُرق، وأرتب ما نُثر على نحو يؤطر منهجا متكاملا في بيان هدف السورة.

سائلا المولى- تبارك وتعالى- أن يوفقني فيما هدفت إليه وأن يعينني عليه، وأن يجنبني الخطأ والزلل..

أهداف البحث:

١- التأطير لمنهج واضح المعالم محدد الأركان، يمكن من خلاله معرفة الوسائل التي اعتمد عليها العلماء في بيان الهدف العام للسورة القرآنية.

٢- جمع هذه الجهود المتفرقة التي بذلت في هذا الجانب، وإبرازها على نحو يظهر مدى عناية العلماء وحفاوتهم بدراسة وحدة الهدف للسورة القرآنية.

٣- التأكيد على أن بيان هدف السورة أمر مبني على علم ودراية وحسن نظر وطول تأمل في كل ما يحتف بالسورة ويتعلق بها كاسمها وفضائلها وفاتحتها وخاتمتها، وفي كل ما أحاط بها من ملابسات وأحوال كزمان نزولها والأسباب التي نزلت عليها.

٤- الاحتكام إلى هذا المنهج والرجوع إليه في الترجيح بين أقوال أهل العلم فيما اختلف فيه حول الهدف، أو فيما تعددت فيه أقوال العلماء.

حدود البحث:

يرتكز محور الدراسة حول جمع الوسائل التي اعتمد عليها العلماء في تحديد هدف السورة من خلال كتب التفسير وغيرها.

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذا السؤال الرئيس: (ما منهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة القرآنية؟).

ثم نتج عن هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية الأخرى المهمة:

١- ما المراد بالهدف العام للسورة القرآنية ؟ وما الإطلاقات الأخرى لهذا المصطلح ؟

٢- ما أهم خصائص الهدف العام للسورة ؟

٣- ما أدلة وحدة الهدف في السورة ؟

٤- ما جهود المفسرين في دراسة الهدف العام للسورة؟

٥- ما الوسائل التي استخدمها العلماء لبيان الهدف العام للسورة ؟

منهج البحث:

يعتمد الباحث في بحثه هذا على منهجين من مناهج البحث العلمي:

(أ) المنهج الاستقرائي: الذي يتمثل في تتبع الوسائل التي اعتمد عليها المفسرون في بيان الهدف ثم جمع هذه الوسائل في مؤلف واحد.

(ب) المنهج الاستنباطي: وقد تمثل في استنباط بعض الوسائل الأخرى غير ما ذكره علماؤنا يمكن الإفادة منها في بيان هدف السورة.

خطوات البحث:

التزمت في بحثي الخطوات الآتية:

١- تتبعت أقوال العلماء في كتب التفسير وغيرها لحصر وسائلهم التي استخدموها في بيان هدف السورة.

٢- اهتممت بذكر أمثلة من أقوال العلماء تحت كل وسيلة على سبيل الاستشهاد.

٣-عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤- خرجت الأحاديث الواردة في البحث من مظانها ومصادرها الأصيلة.

٥- شرحت بعض المصطلحات والكلمات الغريبة بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة.

٦-قمت بتوثيق النقول وذلك بالرجوع إلى المصادر التي وردت فيها.

٧- قمت بالترجمة لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث- لا سيما القدامى منهم - .

٨- أوردت في خاتمة البحث: نتائجه وتوصياته.

الدراسات السابقة:

عناية العلماء بدراسة الهدف العام للسورة القرآنية مسألة قديمة، ظهر ذلك واضحا جليا من خلال ما ورد في كتب التفسير وعلوم القرآن، غير أنه كان الغالب على هذا "الدراسة التطبيقية"، فكان كثير منهم يذكر في بداية تفسيره للسورة هدفها العام، ويدلل على ذلك بما لمسه من اسم السورة أو فواتحها أو خواتيمها، كما فعل الرازي والبقاعي والشاطبي والطاهر بن عاشور وغيرهم، ولذلك لم أقف في حدود اطلاعي على كتاب أفرد منهج العلماء في بيان هدف السورة بالبحث والدراسة على سبيل الاستقلال، لكنى وقفت على بعض الأبحاث والدراسات وثيقة الصلة بموضوع بحثي، وقد أفدت منها كثيرا، وأذكر منها ما يأتي:

١- الوحدة السياقية للسورة القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجري دراسة بلاغية، وهو رسالة ماجستير للدكتور سامي العجلان، عنى فيه صاحبه بالدراسة البلاغية للوحدة السياقية للسور القرآنية، وتتبع كلام المفسرين عن الوحدة السياقية والموضوعية لسور القرآن الكريم.

٢- وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، وهو بحث للدكتور رشيد الحمداوي، اهتم فيه الباحث بإثبات وحدة النسق في السورة من خلال ذكر دلائل وحدة النسق القرآني، ووضح عناية العلماء بعلم المناسبات وعلم مقاصد السور، وتعرض لذكر جهودهم في هذا الجانب، ثم ختم حديثه بذكر بعض طرق الكشف عن وحدة النسق في السور.

٣- مقاصد القرآن الكريم "قراءة معرفية": وهو بحث للدكتور محمد المنتار، تناول فيه صاحبه مقاصد الشريعة، ثم مقاصد القرآن، ثم قام بتوضيح العلاقة بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن الكريم، ثم ذكر حركة التأليف في علم مقاصد القرآن، ثم تناول مفهوم مقاصد السور وختم بعرض أنواع المقاصد عند العلماء.

٤- مقاصد السور القرآنية "عرض ودراسة": وهو بحث للدكتور/ شافي سلطان العجمي، وهو دراسة تقوم على التأصيل لعلم المقاصد، وبيان نشأته وتطوره، وتقديم الأدلة النقلية والعقلية على حجية هذا العلم، وعرض لبعض طرق الكشف عن مقاصد السور، وختم بذكر أقسام مقاصد السور، وركزها في ثلاثة أمور (الألوهية والبعث – الرسالة – العبادات والمعاملات).

٥- علم مقاصد السور: وهو كتاب للدكتور محمد عبدالله الربيعة، وهذا الكتاب في أصله تفريغ لمحاضرات ألقيت ضمن دورة علمية صيفية، وقدم هذا الكتاب تعريفا لمقاصد السور وبيانا لأهميتها في ضوء القرآن والسنة وحشدا لأقوال السلف في بيان أهميتها وأفرد جزءا كبيرا لبيان اهتمام العلماء القدامى والمحدثين بعلم المقاصد وعرض بدقة لأهم الكتب والمؤلفات في علم المقاصد وفق تقسيم منضبط، وذكر بعد ذلك بعض طرق الكشف عن مقاصد السور.

ما تضيفه دراستي الحالية:

هذه الدراسة تعنى في أصلها بحصر الوسائل والطرق التي اعتمدها العلماء في بيانهم لهدف السورة على نحو يجمع بين الدقة والاستيعاب لطرق الكشف عن أهداف السور، مع الاهتمام الشديد بذكر أقوال المفسرين وعرض الأمثلة التي توضح المقال من خلال ما جاء في كتب التفسير، وقد يسر الله –تعالى – للباحث الوقوف على ثماني عشرة وسيلة، جاءت منثورة في كتابات علمائنا الكرام، ثم وفق الله الباحث للوقوف على ثلاث وسائل أخرى من خلال المعايشة لهذا الموضوع فتم جمعها في إطار واحد يبرز منهجا متكاملا في هذا الجانب.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أهداف البحث، وحدوده، ومشكلته، ومنهجه، والخطوات المتبعة في صياغته، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأما التمهيد فقد جاء في مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

المطلب الثاني: خصائص الهدف العام للسورة القرآنية.

وأما المباحث فقد جاءت في أربعة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: أدلة وحدة الهدف للسورة القرآنية.

المبحث الثاني: جهود العلماء في دراسة الهدف العام للسورة القرآنية.

المبحث الثالث: منهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة القرآنية.

وفيه ثمانية عشر مطلبا:

المطلب الأول: النظر الدقيق في افتتاحية السورة.

المطلب الثاني: القراءة الجيدة لخاتمة السورة .

المطلب الثالث: الربط بين فاتحة السورة وخاتمتها.

المطلب الرابع: الاستعانة بخواتيم السورة لبيان هدف التي تليها.

المطلب الخامس: الرجوع إلى زمان النزول.

لمطلب السادس: التأمل في اسم السورة الذي اشتهرت به.

المطلب السابع: النظر في الأسماء الأخرى.

المطلب الثامن: الربط الدقيق بين القضايا الخاصة في السورة.

المطلب التاسع: التمييز بين القضايا الخاصة الأصيلة والمعاني الفرعية.

المطلب العاشر: الاستعانة ببعض السور في بيان أهداف بعض السور الأخرى.

المطلب الحادي عشر: الوقوف على فضائل السورة.

المطلب الثاني عشر: العلم بموقع السورة وترتيبها.

المطلب الثالث عشر: إدراك دلالات تكرار الألفاظ والآيات.

المطلب الرابع عشر: التدبر في تكرار المعاني.

المطلب الخامس عشر: النظر في القصة القرآنية.

المطلب السادس عشر: الوقوف على سبب النزول.

المطلب السابع عشر: فهم مقاصد القرآن.

المطلب الثامن عشر: الوقوف على الروايات الواردة في بيان هدف السورة.

ثم كان المبحث الرابع: وعرضت فيه لثلاث وسائل أخرى، يسر الله لي الوقوف عليها من خلال معايشتي لهذا الموضوع، وذكرتها على النحو التالي:

أولا: التأمل في الفرائد القرآنية.

ثانيا: النظر في الأسلوب الغالب على السورة.

ثالثا: التدبر في الأحكام الشرعية الواردة في السورة.

ثم كانت الخاتمة، وفيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات تتعلق بخدمة هذا النوع من الدراسات القرآنية. **وبعد:** إن كنت قد أصبت فذاك توفيق الله وفضله، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي، وأنا بشر أخطئ وأصيب، ولا أدعى أن عملي هذا قد بلغ حد الكمال أو قاربه، أو تجرد عن النقص، فالكمال لله وحده، والعصمة لمن شاء له الله العصمة، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد
المطلب الأول
تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

أولا: تعريف المنهج في اللغة:

ورد في معاجم اللغة الأصيلة أن " المنهج والنهج والمنهاج " كلها بمعنى واحد، ومعناها في اللغة: الطريق الواضح المستقيم والخطة المرسومة، وقد جاء لفظ المنهاج في القرآن الكريم بهذا المعنى؛ حيث يقول الحق –ﷻ-

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١]، أي: " طريقا واضحا "[٢].

قال الرازي[٣] في مختار الصحاح: " (النهج) بفتح النون على وزن الفلس بفتح الفاء، و(المنهج) بوزن المذهب، و(المنهاج) الطريق الواضح، و(نهج) الطريق: أبانه وأوضحه، و (نَهَجَهُ) أيضا: سَلَكَه"[٤].

وفى لسان العرب للعلامة ابن منظور[٥] : "طريق نَهْجٌ: بيّن واضح، والجمع نَهْجات ونُهُج ونُهوج، وطرق نَهْجَةٌ وسبيل مَنْهَجٌ: كَنَهْج، والمِنهاجُ: كالمنهج، وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واستبان، وصار نَهْجاً: واضحا بيّنا، والمنهاج: الطريق الواضح، واسْتَنْهَجَ الطريق: صار نَهْجا، ونَهَجْتُ الطريق: أَبَنْتُه وأَوضَحتُه، يقال:

---

(١) سورة المائدة: آية رقم (٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (١٨٤/٢)، طبعة: عالم الكتب –بيروت - الأولى ١٩٨٨م.

(٣) - هو الإمام اللغوي زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، صاحب (مختار الصحاح) في اللغة، وبه عرف واشتهر، وهو مختصر من صحاح الجوهري، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة ٦٦٠ هـ، ويعد الرازي من كبار علماء اللغة وفقهاء الحنفية، أصله من الري، وزار مصر والشام، ومن آثاره: شرح المقامات الحريرية، وروضة الفصحاء، وحدائق الحقائق، والذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز في التفسير، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، توفي سنة ٦٦٦ هـ. ينظر: كشف الظنون: حاجي خليفة (٨١/١)،طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت- الأولى ١٤٢١هـ، الأعلام: الزركلي (٥٥/٦)، طبعة: دار العلم – بيروت - السابعة١٩٨٦م.

(٤) مختار الصحاح: الرازي (٣٢٠/١)، طبعة: المكتبة العصرية - بيروت - الخامسة ١٩٩٩م.

(٥) هو العلامة اللغوي أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، ولد بمصر سنة ٦٦٣هـ، ولد بطرابلس، وهو إمام حجة في اللغة وعلومها، ومن أهم آثاره " لسان العرب" وهو معجم أصيل من معاجم اللغة، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة، واختصر كثيرا من كتب الأدب المطولة كالأغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابن البيطار، توفى سنة ٧١١هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي (٢٤٨/١)، طبعة: المكتبة العصرية – بيروت – الأولى ١٤١٩، الأعلام: الزركلي (١٠٨/٧).

اعمل على ما نهجته لك، ونَهَجتُ الطريق: سَلَكتُه، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي: يسلك مسلكه، والنَّهْجُ: الطريق المستقيم، ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنهَجَ، لغتان، إذا وضَح".[١]

وفى تاج العروس للزبيدي[٢]:"(النَّهْج)، بِفَتْح فسكون الطريق الواضح البيّنُ، وَهُوَ النَّهَج، محرَّكةً أَيضاً، والجمع نَهْجَات، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ. وطُرُقٌ نَهْجَةٌ: وَاضحة (كالمنهج)، والمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِح[٣].

ثانيا: تعريف المنهج اصطلاحا:

ذكر أهل العلم تعاريف كثيرة لكلمة " المنهج " اصطلاحا، أذكر منها الآتي:

١- المنهج: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"[٤].

٢- وقيل: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل"[٥].

٣- وقيل: "مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم"[٦].

---

(١) لسان العرب: ابن منظور (٣٨٣/٢)، طبعة: دار صادر- بيروت - الثالثة ١٩٩٣م.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الشهير بمرتضى الحسيني الحنفي الواسطي الزبيدي، نزيل مصر، يكنى: أبا الفضل وأبا الجود، ومن أشهر مؤلفاته: تاج العروس وهو شرح للقاموس المحيط، وإتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين، وغاية الابتهاج لمقتضى أسانيد مسلم بن الحجاج، واتحاف الأصفياء بسلاسل الأولياء، وتوفي سنة ١٢٠٥هـ. ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين اللكنوي: (٧٧٩/٦)، طبعة: دار ابن حزم –بيروت - الأولى ١٤٢٠هـ. وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار (١٤٩٢). طبعة: دار صادر –بيروت- الثانية ١٤١٣. الأعلام: الزركلي (٧٠/٧).

(٣) تاج العروس: الزبيدي(٢٥١/٦)، طبعة: دار الهداية –الكويت - الأولى ١٩٦٥م.

(٤) البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د/ محمد زيان عمر (٤٨)، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة - الأولى ٢٠٠٢م.

(٥) مناهج البحث العلمي: د/عبد الرحمن بدوي (٥)، طبعة: وكالة المطبوعات –الكويت - الأولى ١٩٧٧م.

(٦) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: رجاء وحيد (١٢٩)، طبعة: دار الفكر المعاصر – دمشق - الأولى ٢٠٠٢م.

٤- وقيل: "مجموعة من القواعد المتسقة والمنظمة التي يعتمدها الباحث في تفسيره أو تحليله أو بحثه في إطار العلاقات المتعلقة بموضوع معين"[١]

٥- وقيل: " طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية "[٢].

وثمة صلة وثيقة بين هذه التعاريف الاصطلاحية والتعريف اللغوي، فكلاهما في النهاية يبين أن المنهج في أصله هو الطريق الواضح المسلوك المؤدي إلى بيان الحقائق والكشف عنها.

وبناء على ما سبق فالمراد بمنهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة: الطريق الذي اتبعوه والسبيل الذي سلكوه في تحديد الهدف العام للسورة، وبعبارة أخرى: الركائز والأسس التي اعتمدوا عليها في تحديد هذا الهدف.

ثالثا: المراد بالهدف العام للسورة القرآنية:

الهدف العام للسورة هو: الموضوع الأساس والمحور الرئيس الذي سيقت السورة لأجله، فهو عنوانها وعليه مدارها، وينتظم تحته كل قضايا السورة الخاصة، والتي تعد بمثابة العناصر لهذا الموضوع العام، وعرفه بعض العلماء بأنه: " الأمر الجامع الذى يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد "[٣]، وقيل كذلك: " هو أمر كلي تتعانق حوله موضوعات السورة القرآنية، وتنشدّ إليه، وتجتمع حوله الآيات "[٤].

يقول العلاَّمة الشاطبي[٥] –رحمه الله– : "إن السورة القرآنية مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها

(١) مناهج التفسير الموضوعي: د/أحمد رحماني (٧)، طبعة: عالم الكتب الحديث –الأردن- الأولى ١٤٢٩هـ.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د/ علي سامي النشار (٣٦/١)، طبعة: دار السلام –القاهرة - الأولى ١٤٣١هـ.

(٣) مقدمة موسوعة التفسير الموضوعي: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (ب)، طبعة: جامعة الشارقة،- الأولى- ١٤٣١هـ.

(٤) - منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: د/ علي عبد الله علان(٢٧٧)،طبعة: جامعة القدس المفتوحة –الأردن - الأولى ١٤٣٣هـ.

(٥) هو العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي، الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل المجتهد، كان أصوليًا مفسرًا فقيهًا، محدثًا لغويًا، من أفراد العلماء المحققين الأثبات وأكابر الأئمة المتفننين الثقات، له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقهًا وأصولًا وتفسيرًا وحديثًا وعربية وغيرها، مع التحري والتحقيق، له استنباطات جليلة ودقائق منيفة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة وقواعد محررة محققة =

ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية "[١].

ويقول العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز –رحمه الله -: «وإنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جمعت عفوا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها؛ كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحاق، كل ذلك بغير كلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة، ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا»[٢].

رابعا: الألفاظ القريبة من مصطلح " الهدف العام ":

اختلفت عبــارة العلماء في التعبير عن هذا الهدف العام وتسميته، فاستعملوا جملة من المصطلحات، وقد تتبعت هذه المصطلحات فوجدتها تربو على العشرين، منها: موضوع السورة، ومقصود السورة، ومحور السورة، وعمود السورة، وغرض السورة، وسياق السورة، ومضمون السورة، ومدار السورة ، وفلك السورة، وجو السورة، وروح السورة، ومغزى السورة، وعنوان السورة، والموضوع الرئيس، والموضوع العام، وقضية السورة، وعمارة السورة، ونظام السورة، وشخصية السورة، والوحدة السياقية للسورة، والوحدة الموضوعية، والخريطة الذهنية للسورة"[٣].

= على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع، وله تآليف جليلة مشتملة على أبحاث نفيسة وانتقادات وتحقيقات شريفة، ومن أشهرها على الإطلاق كتابه " الموافقات في أصول الأحكام "، توفى -رحمه الله - سنة ٧٩٠هـ، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد مخلوف (١-٣٣٢)، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت –الأولى ١٤٢٤هـ. معجم المؤلفين: رضا عمر كحالة (١١٨/١)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٩.

(١) الموافقات: الإمام الشاطبي (٢٦٨/٤)، طبعة: دار ابن عفان – القاهرة - الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) النبأ العظيم: د/ محمد عبد الله دراز (١٨٨)، طبعة: دار القلم للنشر والتوزيع - القاهرة - الأولى ١٤٢٦هـ.

(٣) علم مقاصد السور: د/ محمد بن عبد الله الربيعة (٩)، طبعة: مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض - الأولى ١٤٢٣هـ. وينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د/صلاح عبد الفتاح الخالدي (٦٤)، طبعة: دار النفائس- الأردن - الثالثة ٢٠١٢.

والمصطلح الغالب منها في تعبيرات العلماء هو " مقصود السورة "، أو "مقصد السورة"، والحاصل أنها كلها إطلاقات متنوعة، لا تناقض بينها ولا اختلاف، لأنها في النهاية تشير إلى وحدة السورة القرآنية وانتظامها تحت هدف واحد.

غير أنى آثرت التعبير بمصطلح " الهدف العام " لأنه من وجهة نظري المتواضعة يجمع في طياته المصطلحات الأخرى، وفيه إشارة واضحة إلى أن الأصل في السورة القرآنية أنها سيقت لتحقيق هدف بعينه، تسعى السورة إليه في كل قضية من قضاياها الخاصة، بل في كل آية من آياتها، كما أن في هذا المصطلح من العموم والشمولية ما يشير إلى اشتمال السورة على أهداف خاصة هي الموضوعات المبثوثة داخل السورة، التي تنتظم كلها تحت هذا الهدف العام، وعليه يمكن القول: إن لكل سورة من سور الذكر الحكيم "هدفا عاما "، يندرج تحته "أهداف خاصة".

وبالنظر في سور القرآن من حيث "تعدد قضاياها الخاصة" نجد أنها نوعان:

١- نوع يشتمل على قضية واحدة فقط، وأغلب ذلك في سور المفصل، فمعظمها يتحدث في موضوع واحد دون ذكر لموضوعات أخرى كسورة الكافرون وسورة الإخلاص.

٢- نوع يشتمل على قضايا عديدة وموضوعات مختلفة، لكنها جاءت لغرض أصيل، وهدف عام، وهذا ما عليه أغلب سور القرآن الكريم[١].

يقول العلامة الشاطبي -رحمه الله -: "إن الكلام المنظور في القرآن الكريم تارة يكون واحداً بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت، وعليه أكثر سو ر المفصل، وتارة يكون متعدداً في الاعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة وآل عمران والنساء وأشباهها، ولا علينا أنزلت السورة القرآنية بكمالها دفعة واحدة، أو نزلت شيئاً بعد شيء فهي في النهاية كلام واحد باعتبار النظم وإن احتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها"[٢].

ويلاحظ هنا في كلام الشاطبي أنه يؤكد على وحدة الهدف في السورة، سواء نزلت جملة واحدة أو نزلت منجمة كما هو الغالب في سور القرآن، فهي كلام واحد في جملته، على الرغم من وجود الأسباب الداعية للتفكك والاضطراب في النظم كتباعد زمن النزول واختلاف القضايا داخل السورة، وهذه آية الآيات وأصل المعجزات والدليل الأظهر على أن القرآن تنزيل من حكيم حميد.

(١) مقاصد السور القرآنية: د/ شافي سلطان العجمي (٩٥٠)، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية –القاهرة - الأولى ٢٠٠٩م.

(٢) الموافقات: الشاطبي(٣/٢٤٩).

المطلب الثاني

خصائص الهدف العام للسورة القرآنية

يتميز الهدف العام للسورة بجملة من الخصائص والميزات، أجملها على النحو الآتي:

١- الهدف العام أمر كلي يجمع كل قضايا السورة:

بمعنى أنه القضية الكبرى الجامعة لكل ما بث في السورة من موضوعات، وهذه الموضوعات المذكورة تمثل عناصر هذا الهدف، ولا يمكن أن تكون في ذاتها هدفا عاما للسورة، فالقصص القرآني –مثلاً- لا يكون هدفاً عاماً للسورة، لأن القصص في السورة وردت لغاية محددة، وهي خدمة هذا الهدف العام وإبرازه والتأكيد عليه.

ولذلك جاء ذكرها في كثير من سور القرآن، وفى كل سورة يُعرض مواقف معينة أو مشاهد خاصة من القصة، ومثال ذلك "سورة الكهف" حيث ذكر الله –ﷻ- فيها كثيرا من القصص، كقصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذى القرنين، ولكن ليس غرض السورة هو إيراد القصص، وإنما جاءت القصص هنا لإبراز هدف السورة الرئيس، وهو " العصمة والوقاية من فتن الدنيا "[١].

وكذلك الأحكام الشرعية الواردة في السورة لا تكون هدفا عاما للسورة، وإنما ينطبق عليها ما انطبق على القصة من كونها تندرج تحت الهدف الأسمى والقضية الجامعة التي سيقت السورة لأجلها، ومثال ذلك "سورة النور" فهي مشتملة على كثير من الأحكام الشرعية كحرمة الزنا وبيان حده، وحرمة القذف وبيان حده، وآداب الاستئذان وبعض أحكامه الشرعية، ووجوب غض البصر وحفظ الفرج، والدعوة إلى النكاح والحث عليه، وهذه الأحكام كلها مندرجة تحت هدف السورة الرئيس، وهو:" حفظ المجتمع الإسلامي من الجرائم والفواحش "[٢].

(١) موسوعة التفسير الموضوعي: (٢٨٧/٤).

(٢) المرجع السابق:(١٦٨/٥).

ويقول العلامة الفراهي[١]- رحمه الله – عن هدف السورة والذى أسماه " عمود السورة": " هو جماع مطالب الخطاب والمقصود منه فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسرى فيه كالروح، ولا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه"[٢].

٢- الهدف العام للسورة معنى خفي:

ولذلك فهو يحتاج في التوصل إليه مزيد تأمل وطول تدبر، بحيث يكون جامعا لكل موضوعات السورة، ومن ثم فإنه يلزم المتأمل للسورة أن يستوفي جميع أركانها بالنظر والتدبر، ويستوضح الروح التي تربط بين أطرافها، وأن يعبر عنها بما يستوعب جميع موضوعاتها المنثورة فيها، وألا يكتفي بنظرة سريعة إلى بعضها، أو تحديد هدفها بالنظر إلى موضوع كثر ذكره فيها، ولذلك كان تحديد الهدف العام من الأمور الدقيقة الصعبة، وقد ذكر العلامة الفراهي صعوبة تحديد هدف السورة بقوله : " اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها "[٣].

وقد بيّن الفراهي –رحمه الله- أسباب صعوبة تحديد الهدف الجامع للسورة في عدة نقاط:

" أولها: أن القرآن الكريم نزل متشابها مثاني، فتري سورة متشابهة المطالب مع اختلاف عمدها، ومتحدة العمد مع اختلاف مطالبها، فمن لم يقم بإجالة النظر في مطالبها مرة بعد مرة جمعها تحت عمد مختلفة، وبهذا يكون قد ضل وابتعد عن الطريق المستقيم.

ثانيها: أن الله –تعالى- كما أنزل هذا الكتاب لواجبات العقائد والشرائع، أنزله كذلك لتعليم الحكمة، ولا يخفى أن تعليم الحكمة لا يتأتى بإلقاء المعارف، وإنما يتأتى باستعمال الفكر والعقل، وهذا مما يتفاوت فيه الناس على قدر تدبرهم وطول تأملهم وإعمال عقولهم.

---

(١) هو العلامة حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان الأنصاري الفراهي، ولد سنة ١٢٨٠هـ في قرية "فيرها" من قرى مديرية "أعظم كره" بشبه القارة الهندية، وبرع في الفارسية حتى نَظَم فيها الشعر وهو ابن ستة عشر عاما، ثم اشتغل بطلب العربية وعلومها على يد الأديب شبلي النعماني، ومن أشهر مصنفاته كتاب " دلائل النظام"، وكتاب " مفردات القرآن "، توفي –رحمه الله – سنة ١٣٤٩هـ. ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين اللكنوي(١٢٦٧/٨).

(٢) دلائل النظام: الفراهي (٧٣)، طبعة: الدائرة الحميدية –الهند - الأولى ١٣٨٨هـ.

(٣) المرجع السابق: الفراهي(٧٧).

ثالثها: أن الله –تعالى- جعل القرآن على نهاية الإيجاز، ومع ذلك ملأه حكما جمة، فلكثرة المطالب العالية يتحير الناظر فيه، ويصعب عليه أن يصطفى من بين معانيه معنى واحدا كالعمود، ويكون حاله كمن يطلب من بين الجواهر واسطة العقد، ومن غاية الحسن كلها يروقه، فلا يدري أيها أولى"[١].

٣- تحديد الهدف العام للسورة أمر اجتهادي:

إن تحديد الهدف العام للسورة القرآنية يخضع لاجتهاد العلماء وفهمهم وحسن استنباطهم، وهو مما تتفاوت فيه الأفهام، ولعل هذا ما يبرر اختلاف العلماء وتنوع عباراتهم في تحديد الهدف، ولا غضاضة في هذا فقد وقع الاختلاف بين الصحابة حول تفسير سورة النصر وبيان هدفها الذي سيقت له.

فقد أخرج البخاري[٢] بسنده عن ابن عباس[٣] ﷺ قال: كان عمر[٤] يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[٥] حتى ختم السورة.

---

(١) دلائل النظام: الفراهي (٧٩).

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى سنة ١٩٤هـ، وهو أول من صنف كتاباً جامعاً في حديث رسول الله - ﷺ - وكل ما فيه صحيح، ولذا سماه " الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله وسننه وأيامه "، وهذا الكتاب أصح كتاب بعد كتاب الله – عز وجل -، توفى – رحمه الله – سنة ٢٥٦هـ عن ٦٢ سنة، ينظر: تذكرة الحفاظ: الذهبي:(١٠٤/٢)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤١٩.

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله، ترجمان القرآن ويقال له الحبر والبحر؛ لكثرة علمه فقد دعا له النبي ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، روى عن أبيه وعن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وروى عنه خلق كثير منهم ابن عمر، مات سنة ٦٨هـ ودفن بالطائف. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر(٩٣٣/٣)، طبعة: دار الجيل –بيروت - الأولى ١٤١٢.

(٤) هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح، الفاروق الخليفة أمير المؤمنين، أسلم سنة ست من النبوة، وكان إسلامه عزا ونصرا للإسلام والمسلمين، تولى الخلافة يوم الثلاثاء سنة ثلاث عشرة، وكان مضرب الأمثال في العدل والرحمة بالرعية، وهو أول من لقب بأمير المؤمنين، وطعن يوم الأربعاء سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم. ينظر: صفة الصفوة (١٠١/١)، طبعة: دار الحديث –القاهرة - الأولى ١٤٢١هـ.

(٥) سورة النصر: الآيتان رقم (١-٢).

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم"[١].

علق الإمام ابن القيم[٢] على هذا الأثر بقوله: "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد؛ فإنه لم يعلِّق الاستغفار بعمله، بل علقه بما يحدثه هو من نعمة فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح والاستغفار بين يديه، ليلقى ربه طاهرا مطهرا من كل ذنب، فيقدم عليه مسرورا راضيا مرضيا عنه ويدل عليه أيضا قوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ وهو - ﷺ - كان يسبح بحمده دائمًا، فعلم أن المأمور به من التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في الدين أمر أكبر من ذلك المتقدم، وذلك مقدمة بين يدي انتقاله إلى الرفيق الأعلى؛ وأنه قد بقيت عليه من عبودية التسبيح والاستغفار التي ترقيه إلى ذلك المقام بقية، فأمره بتوفيتها، والمقصود: تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكما أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ، دون سياقه ودون إيمائه وتنبيهه وإشارته واعتباره"[٣]، ولذا فالاختلاف هنا وارد وتعدد الأقوال حاصل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المغازي، باب: منزل النبي يوم الفتح (١٥٦٣/٤)، رقم الحديث(٤٠٤٣)، طبعة: دار ابن كثير - دمشق - الخامسة ١٤١٤هـ.

(٢) هو الإمام محمد بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكى زين الدين الزرعي الدمشقي، وكنيته أبو عبد الله، ويلقب ابن القيم أو ابن قيم الجوزية، ولد في قرية إزرع بدمشق سنة ٦٩١هـ، وهو فقيه أصولي محدث أعلم أهل زمانه وأبرز شيوخه والده أبو بكر أيوب الزرعي والقاضي تقى الدين سليمان وابن تيمية، وله "إعلام الموقعين" و "زاد المعاد"، وتوفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر (١٣٧/٥)، طبعة: دائرة المعارف –الهند - الثانية ١٣٩٢، طبقات المفسرين: الداوودي (٩٣/٢)، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت- الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم (٢٦٦/١)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤١١هـ.

ومن أمثلة ذلك: " سورة البقرة "، وقد تتبعت ما ذكره العلماء في تحديد هدف سورة البقرة فوجدت أقوالا كثيرة، تزيد على العشرة ، فقد ذكر بعضهم أن هدف سورة البقرة: "بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه "[١].

وقيل: " مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع يفي كل ما قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مجارها الإيمان بالغيب"[٢]. وقيل: " معظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم"[٣].

وقيل: " هدفها: القوامة على دين الله سلب وإسناد "[٤]. وقيل: " هي سورة الخلافة والخلفاء"[٥].

ويكاد يتفق جمهور المعاصرين على أن محور السورة يدور حول "الخلافة في الأرض ومقوماتها وأهلها".

وهذا القول الأخير يتفق مع مجمل قضايا السورة إلى حد كبير، فقد افتتحت بالحديث عن القرآن وموقف الناس منه، ثم انتقلت للحديث عن خلافة آدم –عليه السلام- بوصفه أول خليفة لله في الأرض، ثم انتقلت لعرض نموذجين من نماذج الخلافة، أحدهما نجح في القيام بأعباء الخلافة وواجباتها وهو خليل الرحمن إبراهيم –عليه السلام-، والثاني فشل فشلا ذريعا في القيام بأعباء الخلافة وتنكب الطريق وتمرد على أمر الله وهم بنو إسرائيل.

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: أبو جعفر بن الزبير ص(٨٨)، طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –المغرب- ١٤١٠هـ.

(٢) نظم الدرر: البقاعي (٥٥/١)، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٩٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (٢٠٣/١). طبعة: الدار التونسية للنشر –تونس – الأولى ١٩٨٤م.

(٤) المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم : د/ عبد الله الخطيب ود/ مصطفى مسلم ص(١٨)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، سنة النشر ١٤٢٦.

(٥) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د/صلاح الخالدي ص(٧٣)، طبعة: دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن- ١٤٣٣هـ.

وهذا القول قريب مما ذكره العلامة البقاعي[١] في نهاية حديثه عن سورة البقرة حيث قال: " بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبين أمر النبوة إلى حد ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن، وكان جماع ما في القرآن منضماً إلى معانيها "[٢]، وهذا الاختلاف في حقيقته هو اختلاف في العبارة، ويعد من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وبالتأمل فيما ذكره أهل العلم ندرك أن جوهر ما قيل في هدف السورة واحد وإن جاءت العبارة مختلفة.

المبحث الأول

أدلة وحدة الهدف للسورة القرآنية

لقد تضافرت الأدلة على وحدة الهدف في السورة القرآنية، وتكاثرت الشواهد التي تؤكد اختصاص كل سورة بهدف عام تسعى السورة إلى تحقيقه من خلال ما بث فيها من قضايا وموضوعات، ومن هذه الأدلة:

أولا: وصف القرآن الكريم بالإحكام.

جاء وصف القرآن الكريم بالإحكام في آيات كثيرة ، ومن ذلك قوله –تعالى-: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[٣]، ومن آكد وجوه تجليات هذا الإحكام ومظاهره: وحدة السورة وترابطها، وذلك باشتمالها على هدف واحد، ينتظم تحته جملة من القضايا والموضوعات الخاصة، التي ترتبط بالهدف ارتباطا وثيقا، على نحو يظهر السورة في غاية الارتباط والإحكام.

يقول العلامة الشيخ / عبدالعظيم الزرقاني –رحمه الله – عن إحكام القرآن وترابطه: " إن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجملة وآياته وسورة مبلغا لا يداينه فيه أي كلام آخر، هو وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة فبين كلمات الجملة السورة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر البقاعي، وُلِدَ سنة ٨٠٩هـ، ورحل في طلب العلم إلى دمشق وبيت المقدس ومصر، ثم عاد إلى دمشق، وتوفى بها سنة ٨٨٥ هـ، وله مصنفات كثيرة في الحديث والتفسير والفقه واللغة والتاريخ، وأشهر مؤلفاته تفسيره القيم :" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "، وكتابه: " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ". ينظر: طبقات المفسرين: للأدنه وي (٣٤٧)، طبعة: مطبعة العلوم والحكم – السعودية - الأولى ١٤١٧هـ. وشذرات الذهب: ابن العماد (٥٠٩/٩) طبعة دار ابن كثير – دمشق، الأولى ١٤٠٦.

(٢) نظم الدرر: البقاعي (١٨٧/٤).

(٣) سورة هود: آية رقم (١).

سوي الخلق حسن السمت، فكأنما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار على حين أنها مؤلفة من حلقات لكل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء ولكل جزء موضع خاص من الحلقة ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة وحدة بديعة متآلفة تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء ثم بين كل حلقة وحلقة ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها، يعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه من غير تفكك ولا تخاذل ولا انحلال ولا تنافر بينما الموضوعات مختلفة متنوعة فمن تشريع إلى قصص إلى جدل إلى وصف إلى غير ذلك"[١].

ثانيا: الأمر بتدبر القرآن.

لقد أمر الله بتدبر القرآن، فقال– تعالى - : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٢]، ونعى على من لا يتدبرونه فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[٣]، ولا يمكن أن يكون التدبر إلا مقرونًا بفقه المعاني والأهداف والحكم، ولا يحصل ذلك إلا بوحدة السورة وانتظام بنائها، إذ لا وجه للتدبر في سورة تفرقت موضوعاتها وتشعبت قضاياها، وأني تلتمس المعاني والحكم والأهداف من كلام متناثر؟ ولذا كان الأمر بالتدبر مبنيا على ترتيب السورة وتناسقها واشتمالها على هدف محدد يلائم بين هذه القضايا المتناثرة.

ثالثا: بناء القرآن على مقاصد أساسية.

إذا كان القرآن مبنياً على مقاصد عامة، ترجع إليها كل سوره وآياته، فلابد أن تكون هذه السور هادية إلى هذه المقاصد ودالة عليها، وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكون لكل سورة جهة مخصوصة في الدلالة على المقصد الأساس وقد أشار كثير من أهل العلماء إلى مقاصد القرآن، ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي[٤] –رحمه الله- حيث يقول : " سر القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى "دعوة

(١) مناهل العرفان: الشيخ / عبد العظيم الزرقاني ٣١٦/٢، طبعة: مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - الثالثة١٩٤٣م.

(٢) سورة ص: آية رقم (٢٩).

(٣) سورة محمد: آية رقم (٢٤).

(٤) هو الإمام الحجة الثبت أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الشافعي، الملقب بحجَّة الإسلام، صاحب التصانيف العديدة منها: «المستصفى»، و«المنخول» في الأصول، و«الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة» في الفقه، وله «إحياء علوم الدين»، توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي (٣٢٢/١٩)، طبعة: مؤسسة الرسالة –بيروت - الثالثة ١٤٠٥هـ.

العباد إلى الجبار الأعلى"، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة،، وثلاثة: هي الروادف والتوابع المغنية المتمة، أما الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، وأما الثلاثة المغنية المتمة: فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمعِ الله لهم وتنكيله بهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب، وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيتُ والتقهير، وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد، فهذه ستة أقسام"[١].

ويقول الإمام الرازي[٢]: " إن المقصد الأقصى من هذا الكتاب الكريم إثبات الأصول الأربعة وهي الإلهيات والمعاد والنبوة والقضاء والقدر "[٣].

رابعا: تقسيم القرآن إلى سور.

تقسيم القرآن إلى سور محددة كل سورة تختص باسم وافتتاحية وختام يعد دليلا قاطعا على اشتمالها على هدف مخصوص تدل عليه جميع آياتها، وترتبط به كل معاني السورة، حتى تتلاحق المعاني وتنتظم المباني، ويجتمع الشبيه مع الشبيه والنظير مع النظير، وهذا ما أشار إليه الزمخشري[٤]

(١) جواهر القرآن: الغزالي (٢٤)، طبعة: دار إحياء العلوم –بيروت - الثانية ١٤٠٦هـ.

(٢) هو الإمام محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن على، الشهير بالفخر الرازي إمام عصره في العلوم النقلية والعقلية، وهو من أئمة الشافعية في زمانه، ولد سنة ٥٤٤هـ، ورحل في طلب العلم إلى خوارزم وبلاد ما وراء النهر ثم عاد إلى الري، واستقر أخيراً بخراسان، وكان يلقب فيها بشيخ الإسلام، توفى سنة ٦٠٦هـ، وله مصنفات كثيرة أهمها على الإطلاق تفسيره " مفاتيح الغيب ". ينظر: طبقات المفسرين: الداوودي (٢١٥/٢)، طبقات الشافعية الكبرى: السبكي (٨١/٨) طبعة دار هجر – القاهرة - الثانية ١٩٩٢.

(٣) مفاتيح الغيب: الرازي (٣٢١/٢٦).طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت - الثالثة ١٤٢٠.

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب سنة ٤٦٧ بزمخشر، قرية من قرى خوارم، وقدم بغداد وسمع من أبي الحطاب بن البطر وغيره، وحدث، برع في الأدب، والنحو، واللغة لقي الكبار، وصنف التصانيف، وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له، وكان علامة الأدب، ونسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل، وكان من أقطاب المعتزلة في زمانه له التصانيف البديعة منها: الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث =

في فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سورا: " فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً؟ قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة... ومنها: أن التفصيل بحسب تلاحق الأشكال والنظائر، وملائمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحق المعاني والنظم "[١].

خامسا: إطلاق اسم " السورة " على مجموعة خاصة من الآيات.

إن تعريف السورة بهذه الكلمة (سورة) يعني أنها بمثابة سور يحيط بموضوع معين، وهذا المعنى المشار إليه هو أحد المعاني اللغوية لكلمة " سورة " ، فقد قيل: إنها مأخوذة من سور المدينة، وهذا يعني أن كل سورة ذات محور يدور حوله مواضيعها، يشير إلى ذلك الإمام البقاعي فيقول: " السورة: تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة "[٢].

ويقول ابن عاشور[٣]: " السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة "[٤].

سادسا: وقوع التحدي بالسورة.

لقد تحدى الله –تعالى – العرب أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، ولولا أن هذه السورة مبنية بناء محكماً في لفظها ومعناها لما نص عليها في التحدي، فهذا التحدي دال على كمال هذه السورة من جميع الوجوه، ومن آكد وجوه الكمال وأعظمها انتظامها في مقصد واحد مع تفاوت موضوعاتها وقضاياها، وفى التحرير والتنوير: " وإنما كان التحدي بسورة ولم يكن بمقدار سورة من آيات القرآن؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز أموراً لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفى في غرض من الأغراض، وإنما تنزل سور القرآن في أغراض مقصودة، فلا غنى عن مراعاة الخصوصيات المناسبة لفواتح الكلام وخواتمه بحسب الغرض، واستيفاء الغرض المسوق له الكلام "[٥].

= وأساس البلاغة وربيع الأبرار، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ينظر: طبقات المفسرين: السيوطي(١٢١)، طبعة: مكتبة وهبة –القاهرة - الأولى ١٣٩٦.

(١) الكشاف: (٧٩/١)، طبعة: دار الكتاب العربي –بيروت - الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) نظم الدرر: البقاعي (١٢٦/١).

(٣) - هو محمد الطاهر بن عاشور، إمام وعالم مفسر، مفتى المالكية بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، ومن أهم مصنفاته تفسيره القيم " التحرير والتنوير " ويقع في خمسة عشر مجلداً، وله كتاب " أصول النظام الاجتماعي في الإسلام "، توفى – رحمه الله – ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام: الزركلى (١٧٤/٦)، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (١٠١/١٠).

(٤) التحرير والتنوير: ابن عاشور(٨٤/١).

(٥) التحرير والتنوير: (٣٧٧/١).

سابعا: القول بالفرق بين السور المكية والمدنية.

مما أجمع عليه العلماء أن للقرآن المكي موضوعات وقضايا خاصة تختلف عن موضوعات القرآن المدني وقضاياه، ففي المكي جاء التركيز على قضايا العقيدة والدعوة إلى التوحيد، بينما في القرآن المدني تتمحور قضاياه حول التشريعات والآداب والسلوكيات، وعليه تنطبع كل سورة بما يلائم زمان نزولها ومكانه، وهذا من آكد الأدلة على وحدة الهدف في السورة.

ثامنا : نزول القرآن منجما حسب الأحداث والوقائع.

كان نزول القرآن منجماً حسب الوقائع والأحداث، ثم جاء ترتيبه في المصحف حسب ما كان في اللوح المحفوظ، ولهذا كان النبي –ﷺ– يأمر بوضع الآية في مكانها من السورة بدلالة الوحي الشريف، وهذا دليل واضح على وحدة الهدف في السورة من حيث أن هذا التنجيم كان لحكم عظيمة، ومنها أن تنزل السور أو الآيات لغرض معين حسب ما يقتضيه الحدث والحال، وهذا مؤكد لتضمن السور للمقاصد، ويشهد لذلك أن النبي كان يأمر الصحابة بوضع الآية أو الآيات في الموضع الخاص بها من السورة، وما ذلك إلا دليل على انتظام المعاني في السورة وبنائها على هدف واحد

تاسعا: اختصاص كل سورة باسمها.

من أعظم الأدلة على وحدة الهدف في السورة وضع أسماء للسور بما يشير لمعانيها الدالة على المقصد منها، وأسماء السور توقيفية على قول الجمهور. قال السيوطي[١] في الإتقان: " ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار "[٢].

ويقول الإمام البقاعي: " وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل السورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه"[٣]

(١) هو العلامة المفسر النحوي اللغوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي، المعروف بجلال الدين السيوطي ولد سنة (٨٤٩ هـ)،رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، وكتب فيها المؤلفات البديعة، ومن أشهر آثاره: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، والمزهر في علوم اللغة، والأشباه والنظائر، توفى –رحمه الله – سنة (٩١١)هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي (٦٥/٤)، طبعة: دار مكتبة الحياة –بيروت - : الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي(١٨٦/١)، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة - الأولى ١٣٩٤ م

(٣) نظم الدرر: البقاعي(١٨/١).

عاشرا: تكرار القصص في السور.

من أقوى شواهد وحدة الهدف في السورة " تكرار القصة "؛ لأنها تكرر بأغراض مختلفة، وتعرض في كل سورة بأساليب مختلفة ، وربما يذكر مواقف بعينها في سورة ولا تذكر في سورة أخرى، وذلك كي تتلاءم القصة مع هدف السورة الأصيل، ولما كانت أهداف السور مختلفة، كان طبيعيا أن تختلف طريقة عرض القصة، يقول الإمام الشاطبي " وبالجملة، فحيث ذكر قصص الأنبياء- عليهم السلام- كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهارون، فإنما ذلك تسلية لمحمد- عليه الصلاة والسلام- وتثبيت لفؤاده، لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة.. فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله، وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال، والجميع واقع لا إشكال في صحته "[1].

المبحث الثاني

جهود العلماء في دراسة الهدف العام للسورة القرآنية

بعد استقراء ما سطّره العلماء حول الهدف العام للسورة "تنظيرا وتطبيقا"، يمكن القول إن علماءنا قديما وحديثا كان لهم جهود مباركة وعناية خاصة بهذه القضية؛ بوصفها مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ويمكن أن نلخص هذه الجهود في خمس نقاط أوضحها على النحو التالي:

القسم الأول: العلماء المؤسسون لهذه القضية، وهم علماء المناسبات، فقد كان لهم دور رائد في لفت الأنظار إلى وحدة الهدف في السورة من خلال التناسب التام بين آياتها وموضوعاتها؛ ولذا فإن فكرة وحدة الهدف للسورة قد ظهرت وليدة على أيدي علماء المناسبات، وهؤلاء الأعلام وإن عكفوا على بحث الصلات الجزئية بين الآيات القرآنية فقط دون النظر في الجامع المشترك بينها، إلا أن عملهم هذا قد مهد الطريق لمن جاء بعدهم في البحث عن هدف السورة في ضوء مناسبات الآيات، ومن هؤلاء الأعلام:

(١) الموافقات: الشاطبي (٤/٢٧٥).

١- الإمام أبو بكر النيسابوري[١]:

وهو أول من أظهر علم المناسبة بين الآيات القرآنية، وقد كان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية بجوار تلك ؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة[٢].

٢- العلامة أبو بكر بن العربي[٣]:

كان له اهتمام خاص بعلم المناسبات، وهو يرى أن آيات السورة كلها ترتبط ببعضها البعض حتى تبدو السورة القرآنية كأنها كلمة واحدة، يقول-رحمه الله- : "إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد[٤] عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله – ﷻ – لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"[٥].

القسم الثاني: العلماء الذين اهتموا بذكر أغراض السورة أو مقاصدها عموما، دون ذكر الهدف العام الذي يجمع هذه الأغراض وتلك المقاصد، وهؤلاء وإن لم ينصوا على الهدف العام إلا أنهم كان لهم فضل في حصر الأغراض وجمعها مما يسهل بعد ذلك الوصول للهدف العام من خلال النظر في هذه الأغراض، ومن هؤلاء :

---

(١) هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٢٢٨هـ، ورحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر، ثم أقام ببغداد فصار إماماً للشافعية بالعراق، ومن أهم كتبه كتاب الربا، والزيادات على مختصر المزنى في الفروع، وتوفى سنة ٣٢٤هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ: الذهبي (٨١٩/٣)، شذرات الذهب: ابن العماد (٣٠٢/٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي(٣٦/١)، طبعة: دار إحياء الكتب العربية – بيروت – الأولى ١٣٧٦هـ.

(٣) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي الأندلسي، أحد فقهاء أشبيلية وعلمائها، رحل إلى المشرق طلباً للعلم ثم عاد إلى المغرب، توفى سنة ٥٤٤هـ، ينظر: الصلة: ابن بشكوال (٥٩٩): طبعة: مكتبة الخانجي – القاهرة- الثانية ١٣٧٤هـ.

(٤) يقصد أبا بكر النيسابوري.

(٥) البرهان: الزركشي (٣٦/١).

١- الفيروزآبادي[١]:

ذكر العلامة الفيروزآبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) بصيرة لكل سورة من سور القرآن، أشبه ما تكون بتعريف مجمل للسورة، فكان يذكر في هذه البصيرة مكان نزول السورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها ومقاصدها وأسماءها وناسخها ومنسوخها ومتشابهها وفضائلها، غير أن الفيروزآبادي في عرضه لمقاصد السورة كان يذكر جميع قضاياها الخاصة ولم ينص على الهدف العام الجامع لهذه المقاصد.

يقول –رحمه الله – في سورة الروم : "معظم مقصود السورة: غلبة الروم على فارس، وعيب الكفار في إقبالهم على الدنيا، وأخبار القرون الماضية، وذكر قيامة الساعة، وآيات التوحيد، والحجج المترادفة الدالة على الذات والصفات، وبيان بعث القيامة، وتمثيل حال المؤمنين والكافرين، وتقرير المؤمنين على الإيمان، والأمر بالمعروف، والإحسان إلى ذوى القربى، ووعد الثواب على أداء الزكاة، والإخبار عن ظهور الفساد في البر والبحر، وعن آثار القيامة، وذكر عجائب الصنع في السحاب والأمطار، وظهور آثار الرحمة في الربيع، وإصرار الكفار على الكفر، وتخليق الله الخلق مع الضعف والعجز، وإحياءُ الخلق بعد الموت، والحشر والنشر، وتسلية رسول الله -ﷺ-، وتسكينه عن جفاء المشركين وأذاهم[٢].

٢- العلامة الطاهر بن عاشور:

عُني الإمام الطاهر بن عاشور عناية خاصة بإبراز أغراض السورة القرآنية، ويعد تفسيره " التحرير والتنوير " في مقدمة التفاسير المهتمة بهذا الجانب، وقد ذكر الشيخ –رحمه الله- بالغ اهتمامه ببيان أغراض السورة في مقدمة تفسيره حتى إنه ذكر ذلك في جميع سور القرآن الكريم، يقول –رحمه الله - " ولم أغادر سورة إلا بينت أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان

(١) هو النحوي، اللغوي، المفسر: محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي، أبو طاهر مجد الدين، كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ولد: سنة (٧٢٩ هـ) من مشايخه: محمّد بن يوسف المدني، وابن القيم، ومن تلامذته: الصلاح الصفدي، والجمال الإسنوي، ومن مصنفاته: "القاموس المحيط"، و "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" في التفسير، توفي سنة (٨١٧ هـ). ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: ابن حجر(٤٧/٣)، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، الأولى ١٣٨٩هـ.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي (٣٦٦/١)، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة- الأولى ١٤١٦هـ.

مفرداته ومعانى جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله"[١]، غير أن غالب اهتمام الشيخ جمع أغراض السورة ويضع ذلك تحت قوله " أغراض السورة " لكنه لم يذكر الهدف الجامع لهذه الأغراض.

القسم الثالث: العلماء الذين أشاروا إلى هدف السورة من غير تصريح بذلك، وعلى هذا جرت عبارة بعض المفسرين القدامى، فربما كانوا يشيرون إلى الهدف ويجرى ذكره في كلامهم دون أن يقصدوا ذلك، ومن هؤلاء:

١- إمام المفسرين: ابن جرير الطبري[٢]:

يقول الطبري في بداية تفسيره سورة آل عمران: " هذه السورة ابتدأها الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الألوهية أن تكون لغيره، ووصفه نفسه بالذي وصفها به ابتداءها، احتجاجا منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله -ﷺ من نجران - وحاجوه في عيسى -صلوات الله وسلامه عليه - وألحدوا في الله، فأنزل الله -ﷻ- في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفاً وثمانين آية من أولها احتجاجا عليهم وعلى من قال مثل مقالتهم في نبيه محمد -ﷺ- "[٣].

٢- الإمام ابن كثير[٤]:

يقول ابن كثير في سورة "الكافرون": "هذه سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي عامرة بالإخلاص".[٥]

---

(١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (٨/١).

(٢) هو العلامة محمد بن جرير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ استوطن ببغداد، وبرع في علوم كثيرة أهمها التفسير والحديث والفقه والتاريخ، ومن أهم آثاره كتابه " جامع البيان في تفسير القرآن "، "تاريخ الأمم والملوك "، " تهذيب الآثار "، توفى – رحمه الله – سنة ٣١٠هـ، ودفن في بغداد، يراجع: طبقات المفسرين الداودي (١١٠/٢)، طبقات الشافعية السبكي: (١٢٣/٣). طبعة: دار هجر – القاهرة، الثانية ١٩٩٢م.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري (١٧١/٥). طبعة: دار هجر – القاهرة - الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) العلامة أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي، ولد بدمشق سنة ٧٠١هـ، وكان قدوة للعلماء والحفاظ، وأقبل على الحديث والتفسير والتاريخ، أخذ عن ابن تيمية وصنف العديد من المصنفات، منها " البداية والنهاية "، " تفسير القرآن العظيم "، توفى – رحمه الله – سنة ٧٤٧هـ، ودفن عند شيخه ابن تيمية في دمشق، يراجع: طبقات المفسرين: الداوودي(١١١/١)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤٠٣. وطبقات المفسرين: السيوطي (١١٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥٠٧/٨)، طبعة: دار طيبة - الرياض - الثانية ١٤٢٠هـ.

٣- العلامة القرطبي[١]:

أشار الإمام القرطبي في تفسيره لسورة الأنعام إلى هدف هذه السورة الكريمة بقوله:" هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تفرق ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية "[٢].

القسم الرابع: العلماء الذين صرحوا بهدف السورة، وكان لهم عناية بذلك، غير أنه لم يكن لهم منهج مضطرد أو خطة واضحة في بيان الهدف، ولذلك نراهم صرحوا بذكر الهدف في بعض السور دون بعض، ولم يطبقوا ذلك على جميع سور القرآن، ومن هؤلاء:

١- العلامة القاضي أبو بكر الباقلاني[٣]:

وضع كتابه "إعجاز القرآن"، وتحدث فيه عن وحدة الهدف في سور القرآن، وطبق ذلك على سورة (غافر)، وسورة (فصلت) بل قال إنهما يتفقان في هدف واحد وهو أن كلاً من السورتين من أولهما إلى أخرهما مبنيتان على: بيان حجية القرآن والتنبيه على وجه معجزته، بل قال: "وما من سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشبع فيها بيان ما قلناه"[٤].

٢-الإمام الفخر الرازي:

الإمام الرازي-رحمه الله- هو أول مفسر قام بربط قضايا السورة بعضها ببعض، ونظمها في عقد واحد وتحت هدف واحد، غير أنه قام بتطبيق ذلك على بعض سور القرآن، ومن ذلك حديثه عن سورة "يس"، حيث ذكر أن هدف هذه السورة هو: تقرير الأصول الأولى للدعوة الإسلامية وهى:

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي، مفسر وفقيه، وله " الجامع لأحكام القرآن " في التفسير، وكتاب " التذكرة بأمور الآخرة "، قيل عنه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين، حدَّث عن الحافظ أبى على الحسن البكري، توفي سنة ٦٧١هـ، يراجع: طبقات المفسرين: الداوودي (٦٩/٢)، " طبقات المفسرين ": السيوطي(٩٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٨٣/٦)، طبعة: دار الكتب المصرية –القاهرة - الثانية ١٣٨٤هـ.

(٣) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور، صاحب كتاب إعجاز القرآن، وكتاب التقريب والإرشاد في أصول الفقه، وقد قام باختصاره فيما بعد، توفى سنة ٤٠٣هـ شذرات الذهب: ابن العماد (٥٧/٢)، وفيات الأعيان: ابن خلكان (٢٦٩/٤): طبعة دار صادر – بيروت – الأولى١٩٨٧

(٤) إعجاز القرآن: الباقلاني (١٠): طبعة دار المعارف – القاهرة - الخامسة ١٩٩٧م.

(التوحيد – الرسالة – البعث) يقول –رحمه الله – " ويمكن أن يقال أن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة بأقوى البراهين، فابتداؤها: بيان الرسالة بقوله (إنك لمن المرسلين)[١] ودليلها ما قدمه عليها بقوله (والقرآن الحكيم)[٢] وما أخره عنها بقوله (لتنذر قوما)[٣]، وانتهاؤها: بيان الوحدانية والحشر بقوله (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء)[٤] إشارة إلى التوحيد، وقوله (وإليه ترجعون)[٥] إشارة على الحشر، وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائله وثوابه "[٦].

ويقول الرازي –رحمه الله – في سورة مريم: "اعلم أن الغرض من هذه السورة: بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله -تعالى- ، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى. ومنهم من أثبت معبودا غير الله جمادا ليس بحيٍ ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأوثان، والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم، فلما بين- تعالى- ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الأوثان"[٧].

٣- ابن الزبير الغرناطي[٨]:

أشار الإمام ابن الزبير الغرناطي في كتابه: "البرهان في تناسب سور القرآن"، لوحدة الهدف في بعض السور، وهذا الكتاب خصصه ابن الزبير الغرناطي - رحمه الله- لبيان المناسبات بين كل سورة والتي تليها على نحو دقيق بديع، وذكر فيه –أيضا- أهداف بعض السور، يقول في سورة البقرة: "

(١) سورة يس: آية رقم (٣).
(٢) سورة يس: آية رقم (٢).
(٣) سورة يس: آية رقم (٦).
(٤) سورة يس: آية رقم (٨٣).
(٥) سورة يس: آية رقم (٨٣).
(٦) مفاتيح الغيب: الرازي (٣١٢/٢٦).
(٧) المرجع السابق: (٥٤١/٢١).
(٨) هو المفسر، المقرئ، اللغوي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير العلامة الأندلسي الحافظ الثقفي، أبو جعفر المعروف بابن الزبير، أحد قراء الأندلس ومحدثيها، ولد: سنة (٦٢٧ هـ)،من مشايخه: أبو الحسن الشاوي، وأبو الحسين بن السراج، ومن تلامذته: أبو حيان، وأبو القاسم محمد بن سهل الوزير، ومن مصنفاته: "ملاك التأويل"، و"صلة الصلة"، و"البرهان في ترتيب سور القرآن"، توفي سنة (٧٠٨ هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني (٣٤/١)، طبعة: دار المعرفة- بيروت - الأولى ٢٠٠٤م.

فحصل من هذه السورة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذا وتركا، وبيان شرف من أخذ به، وسوء حال من تنكب عنه"[١].

٤-الإمام الشاطبي:

يعد الإمام الشاطبي –رحمه الله - من أبرز العلماء المهتمين بوحدة الهدف في السورة القرآنية، وقد أشار إلى هذا في كتابه "الموافقات في أصول الأحكام"، وهذا الكتاب ليس كتاب تفسير كما هو واضح من اسمه، ولكنه يبحث في أصول الأحكام، ولكن يبدو أن قضية وحدة الهدف كانت تشغل باله كثيرا فاستثمر فرصة حديثه عن "الكتاب" باعتباره الأصل الأول من أصول التشريع فكتب عن " الكتاب "هذا البحث الذى يعد منارة في الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم، ووضع جملة من الأسس لقضية وحدة الهدف في السورة، وطبق كلامه هذا على سورة "المؤمنون"، يقول-رحمه الله -: "هذه السورة نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معانٍ كثيرة؛ فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان: أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله"[٢] ،وهذه المعاني التي قصدها الشاطبي هي "تقرير وحدانية الله، وتقرير نبوة سيدنا محمد -ﷺ -، وإثبات أمر البعث"، وقد ربط الشاطبي قضايا السورة كلها بموضوعها الرئيس ربطاً دقيقاً يدل على ثاقب فكره وعظيم إيمانه بتحقق وحدة الهدف في السورة، ويختم كلامه بقوله" ومن أراد الاعتبار في سائر سور القرآن فالباب مفتوح "[٣].

٥- الإمام ابن تيمية[٤]:

تحدث الإمام ابن تيمية عن الهدف العام لبعض سور القرآن، ومن ذلك حديثه عن هدف سورة مريم، وسورة طه وسورة الأنبياء، يقول –رحمه الله - في بيان هدف سورة مريم: " سورة مريم " مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده وأن خواص الخلق هم عباده فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة وتضمنت الرد على الغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة وجحدوا نعم الله التي أنعم بها على عباده

(١) البرهان في تناسب سور القرآن : ابن الزبير الغرناطي (١٩٤).

(٢) الموافقات: الشاطبي (٢٦٩/٤).

(٣) المرجع السابق: (٢٧٤/٤).

(٤) هو الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني الأصل والمولد الدمشقي، النحوي، اللغوي، المفسر المقرئ، ولد سنة ٦٦١، من مشايخه: ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان، ومن تلامذته: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وابن مفلح ومن مصنفاته: "الصارم المسلول"، و "الجواب الصحيح"، و "اقتضاء الصراط المستقيم" وغيرها كثير، توفي : سنة (٧٢٨ هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ: الذهبي (١٩٢/٤).

المصطفين"[١] ، وقال في سورة طه: " سورة طه مضمونها تخفيف أمر القرآن وما أنزل الله تعالى من كتبه فهي " سورة كتبه "، كما أن مريم " سورة عباده ورسله "[٢].

وقال في سورة الأنبياء ": " سورة الأنبياء " سورة الذكر وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر "[٣].

٦- الإمام ابن القيم:

أشار كذلك الإمام ابن القيم إلى هدف بعض السور في كتابيه " إعلام الموقعين " و "بدائع الفوائد "، ومن ذلك قوله –رحمه الله –: عن سورة النحل " فإنها سورة النِّعم التي عدد الله –سبحانه- فيها أصول النعم وفروعها"[٤].

وقال عن سورة الكافرون: " إن مقصود السورة براءته - ﷺ - من دينهم ومعبودهم، هذا هو لبها ومغزاها"[٥] .

٧- الإمام السيوطي:

تحدث الإمام السيوطي في بعض مصنفاته عن أهداف بعض السور، ومن ذلك حديثه عن هدف سورة الانعام، حيث قال: " لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك، أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشئ، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي، والملكي والشيطاني، والحيواني والنباتي، وما تضمنته من الوصايا، فكلها متعلقة بالمعاش والقوام الدنيوي ثم أشار إلى أشراط الساعة والبعث، فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها"[٦]، وقال –رحمه الله – عن سورة الشمس: " المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي "[٧]

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٣٠/١٥)، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، الأولى ١٤٢٥هـ

(٢) المرجع السابق: (٢٣٧/١٥).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٦٥/١٥).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم (٤٣٨/٣).

(٥) بدائع الفوائد: ابن القيم (٢٤٧/١)، طبعة: دار عطاءات العلم – الرياض- الخامسة ١٤٤٠هـ.

(٦) تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي (٨٤)، طبعة: دار الفضيلة – القاهرة - الأولى ١٤٢٢هـ.

(٧) المرجع السابق: (١٦٠).

القسم الخامس: المفسرون الذين اهتموا بذكر هدف السور، وكان لهم منهج خاص وخطة واضحة في ذكر هدف السورة، واهتموا بذلك غاية الاهتمام وسلكوا فيه مناهج معينة، وأخص بالذكر منهم:

١-الإمام الفراهي:

هو صاحب نظرية " النظام " التي بناها على اعتبار وجود جامع مشترك، تنتظم من خلاله كل قضايا السورة الكريمة، وأسماه " عمود السورة "، ووضع في ذلك كتابه القيم " دلائل النظام "، وقد فرق الإمام الفراهي بين "التناسب والنظام"، فالتناسب يقوم على إيجاد الصلات الجزئية بين الآيات، أما النظام فإنه يعنى بجمع قضايا السورة وموضوعاتها تحت هدف واحد، وقد أداه تدبره في كتاب الله وطول تأمله إياه إلى استنباط هذه النظرية.

وذلك بعد أن نظر فيما قاله علماء القرآن الكريم في التناسب والترابط المحفوف بهما كلام الله، فوجده غير كافٍ ولا شافٍ -كما يقول- على ما فيه من أهمية، ولذلك عمل على تطويره حتى يجعل منه فنا مستقلًا قائما على أصول راسخة وقواعد واضحة مستنبطة من أساليب القرآن وقواعد اللسان، وفي تقرير هذا يقول: "إن المراد بالنظام أن تكون السورة كلا واحدا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد منها "[(١)].

٢-الإمام البقاعي:

رائد هذا الأمر بلا منازع، وفارس هذا الميدان بلا منافس، وشاهد ذلك أنه وضع أهم كتابين في هذا الموضوع على الإطلاق، وهما كتابه: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وكتابه: " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " ، والكتاب الأول أثبت فيه مؤلفه أن القرآن وحدة مترابطة، وأظهر أن السورة مترابطة تمام الترابط؛ وذلك لدورانها حول غاية واحدة، وإن القارئ لهذا الكتاب يدرك أن البقاعي كان أشد الناس إيماناً بتحقق وحدة الهدف في السورة القرآنية، ويقرر الإمام البقاعي أن الوقوف على مقصود السورة هاد إلى إدراك التناسب بين آياتها، فيقول: "إن الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أن تنظر إلى الغرض الذى سيقت له السورة "[(٢)]، ولذلك تراه في بداية كل سورة يذكر المقصود الرئيس لهذه السورة، ويذكر ما اعتمد عليه في ذلك من اسم السورة أو فاتحتها أو القصص الوارد فيها، أو غير ذلك من وسائل أخرى.

---

(١) دلائل النظام: الفراهي(٧٧).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي(١/١١).

ويمكن القول: إن الإمام البقاعي كان له السبق على من سبقوه؛ لأنهم طبقوا وحدة الهدف على بعض السور، أما البقاعي فلقد طبقها على كل سورة من سور القرآن من أول فاتحة الكتاب حتى سورة الناس؛ ولأجل ذلك ألف نظم الدرر.

أما كتابه الثاني: وهو " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" وقد سماه –أيضا-" المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى" وقد بنى فكرة هذا الكتاب على وجود التناسب والارتباط التام بين مقصود السورة واسمها ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة الزمر، حتى قال-رحمه الله -:" ومقصودها: الدلالة على أنه –سبحانه- صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل، لأنه لا يفوته شيء، ويضع الأشياء في أوفق محالها، وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر، للإشارة بها إلى أنه - سبحانه - أنزل كلا من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم عدلا منه سبحانه يا أهل النار، وفضلًا على المتقين الأبرار. وعلى مثل ذلك دلت تسميتها بالغرف"[١]

٣- الإمام محمد عبده:

يرى الإمام –رحمه الله - أن هدف السورة يجب أن يكون الأساس والأصل في فهم آياتها، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق وحدة الهدف والتناسق بين قضايا السورة ، يقول الدكتور/ عبد الله شحاته عن منهج الإمام محمد عبده: "وللشيخ محمد عبده يرجع الفضل في رسم فكرة عامة عن السورة وعرض المواضيع التي تعالجها والحقائق التي تسجلها، وقد ظهرت وحدة السورة جيداً في الفهرس الذى كان يضعه لها، وفى عرض الموضوعات التي تحدثت عنها، وكان يرى فضيلته أن فكرة السورة يجب أن تكون أساسا في فهم آياتها، والموضوع يجب أن يكون أساساً في فهم السورة التي نزلت فيه، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق وحدة الهدف والتناسق بين أجزاء السورة "[٢]، وكان هذا المنهج مطبقاً في تفسيره لجزء عمَّ، حيث يعرض الوحدة العامة التي تتكون منها آيات السورة، والنسق القرآني الذى يجعل منها وحدة متكاملة.

٤- العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز:

كان العلامة الدكتور دراز فريد عصره في هذا الباب؛ حيث أثبت فضيلته وحدة الهدف في السورة القرآنية بأسلوب علمي، وتحليل موضوعي، عزّ أن نجد له نظيرا فيما كتب في هذا المجال،

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: البقاعي (٤٢٣/٢)، طبعة: مكتبة المعارف –الرياض - الأولى ١٤٠٨هـ.
(٢) منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن: د/ عبد الله شحاته (٣٥)، طبعة: مكتبة وهبة – القاهرة، الأولى ١٩٨٠م.

وصور هذه القضية تصويراً أدبياً رائعا لا يعهد لغيره من أرباب الفصاحة والبيان، وقد ساعده على هذا ثقافته الواسعة، ودراسته الدقيقة لدراسات المستشرقين الذين حاولوا التشكيك في القرآن من هذا الجانب " تعدد قضايا السورة "، وقد أثبت فضيلته وحدة الهدف بالأدلة العقلية والمنطقية في كتابيه (مدخل إلى القرآن الكريم) ، (النبأ العظيم) وطبقها على سور " البقرة – يونس – هود ".

وللعلامة الدكتور / دراز كلام نفيس في أهمية النظر للسورة القرآنية نظرة شاملة، باعتبارها وحدة واحدة متماسكة الأجزاء مترابطة الأطراف، حيث يقول –رحمه الله- " فعندما نريد أن نقدر جمال لوحة مرسومة لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها حيث لا نجد إلا ألوانا متنوعة تتجاور أو تتنافر أحيانا، بل يجب أن نرجع قليلا إلى الوراء، ليتسع مجال الرؤية وتحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب، فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لنقدر أبعادها الحقيقية، ولقد قمنا في الماضي أثناء تدريسنا بجامعة الأزهر - بتطبيق هذه القاعدة في دراسة لإحدى السور المدنية (سورة البقرة) ولسورتين مكيتين (يونس وهود)، ولم يكن اختيارنا لهذه السور عن قصد، وإنما كانت كلها مقررة في البرنامج الدراسي، والواقع أننا وجدنا أكثر مما كنا نتطلب من بحثنا. فقد كنا نبحث عما إذا كان هناك نوعا من الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة. فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"[١].

٥- الشيخ محمود شلتوت:

كان الإمام الأكبر الشيخ / شلتوت من أبرز العلماء المهتمين بقضية وحدة الهدف في السورة القرآنية، بل اتخذها منهجاً له في تفسيره المسمى (تفسير القرآن الكريم)، وقد فسر فيه تسع سور من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، وقد ذكر فضيلته المنهج الذى سار عليه في تفسيره بقوله: "وقد سلكنا بهذا الصنيع سبيلاً غير الذى ألفها الناس في التفسير؛ لنضع بين يدى القارئ الموضوعات

(١) مدخل إلى القرآن: د/ محمد عبد الله دراز (١٢٨)، طبعة: دار القلم –الكويت - الخامسة ١٤٢٤هـ.

التي عرضت لها السورة، وننظمها في سلك واحد؛ لنعطى للناظر صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه السورة الكريمة "[١].

٦- الدكتور عبدالمتعال الصعيدي:

من شدة إيمانه بفكرة وحدة الهدف في السورة ألف كتابه الرائع: "النظم الفني في القرآن الكريم"، وتقوم فكرة هذا الكتاب على أساس أن لكل سورة في القرآن مقصوداً تهدف إليه؛ وقد تحدث العلامة الدكتور/ الصعيدي عن سبب تأليفه لهذا الكتاب: "لم يوجد من المفسرين من عُنِيَ بإبراز وجه الإعجاز في ترتيب القرآن ونظمه على الوجه اللائق به، وغاية ما يفعله بعضهم أن يعنى بإظهار المناسبة بين الآيتين، دون النظر في السورة من أولها إلى أخرها ليعرف الغرض المقصود منها، ثم يقوم بربط موضوعاتها بهذا الغرض العام، ولو أنهم عنوا بذلك لأظهروا السورة القرآنية متصلة الأجزاء، محكمة النظم، ولهذا وضعت كتابي في هذا الموضوع الخطير؛ ليقوم بهذه الخدمة العظمى للقرآن الكريم مستعيناً في ذلك بهداية الله وتوفيقه ومستمداً منه العون والرشاد "[٢].

٧- الدكتور محمد محمود حجازي:

تحدث الدكتور / حجازي في كتابه (الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم) عن وحدة الهدف الذى تعالجه السورة، وكتابه هذا كان رسالته للحصول على درجة العالمية، وعقد فضيلته مبحثاً خاصاً تحدث فيه عن هذه القضية، وأكد على أهمية أن تدرس السورة على هذا الأساس، يقول – رحمه الله -: "ألست معي أن السورة القرآنية احتوت على معانٍ كثيرة، بعضها متعلق ببعض في وحدة؛ لأنها تعتبر قضية واحدة نازلة لغرض واحد، فلا محيص لمن أراد الفهم أن يرد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره"[٣].

وفى نهاية كلامه عن هذه القضية ذكر بعض النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه لهذه القضية وأهمها أن السورة القرآنية وحدة كاملة لها هدف واحد قد يستتبع أغراضاً مختلفة"[٤].

(١) تفسير القرآن الكريم: الإمام الأكبر الشيخ / محمود شلتوت (٧٩)، طبعة دار القلم – القاهرة –الأولى ١٩٦٠.
(٢) النظم الفني في القرآن: د/ عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب – القاهرة – الأولى ١٩٨٤م.
(٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: د/ محمد محمود حجازي (٤٨)، طبعة: مطبعة المدني –القاهرة- الأولى ١٣٩٠هـ.
(٤) المرجع السابق:(٥٣).

٨- الشيخ محمد الغزالي:

يأتي كتابه " نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم " ضمن أهم المؤلفات المهتمة بدراسة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وقد أشار الشيخ إلى ذلك في مقدمة كتابه، وذكر أنه تأثر بما كتبه الشيخ / دراز في سورة البقرة، فاقتفى أثره وسار على نفس خطواته في تفسيره لسور القرآن، يقول –رحمه الله -: " الهدف الذى سعيت إليه أن أقدم تفسيراً موضوعياً لكل سورة من الكتاب العزيز، والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي، الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو يتناول السورة كلها، يحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها وآخرها تصديقا لأولها، ولقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة وإن كثرت قضاياها، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبدالله دراز عندما تناول سورة البقرة- وهي أطول سورة في القرآن – فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه " النبأ العظيم " وهو أول تفسير لسورة كاملة فيما أعتقد"(١).

ويقول –رحمه الله –: " السورة القرآنية وحدة متماسكة، تشدها خيوط خفية، تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، وتدور السورة كلها على محور ثابت"(٢).

٩- الشيخ سعيد حوى :

وضع كتابه "الأساس في التفسير"، وكتابه هذا عمل جديد، أكد فيه على أن كمال القرآن في وحدة آياته وسوره، وسار في كتابه هذا على التأسيس لفكرة " الوحدة " في القرآن الكريم، يقول عن كتابه: "استطعت بتوفيق الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة، وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سورة وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلاً، ولا يمكن أن تخطر على قلب بشر"(٣).

وقد ذكر في تفسيره محور كل سورة وربط بينه وبين قضايا السورة بدقة متناهية ولذلك يعد كتابه هذا واحداً من كتب التفسير التي خدمت قضية وحدة الهدف في السورة القرآنية .

(١) نحو تفسير موضوعي: الشيخ محمد الغزالي (٥)، طبعة: دار الشروق –مصر- الأولى ١٤١٦هـ.
(٢) المرجع السابق: (٥).
(٣) الأساس في التفسير: الأستاذ / سعيد حوى(٢٧/١)، طبعة: دار السلام- القاهرة - السادسة ١٤٢٤هـ.

١٠-الشيخ / عبدالحميد طهماز:

وضع كتابه الرائع " التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، ويتضح من خلال كتابه مدى حفاوته واهتمامه الشديد بهدف السورة، وشاهد ذلك أنه ذكره في مقدمة تفسيره لكل سورة من سور القرآن، وذكر في مقدمة كتابه أن أحد الأسس التي أقام عليها تفسيره " مراعاة الاتساق بين الكلمات والجمل في الآية الواحدة، ومراعاة الاتساق والاحتباك أيضا بين آيات السورة الواحدة من خلال موضوع السورة "[١].

بل ذكر الشيخ أن أحد أهم البواعث التي دفعته لتأليف هذا الكتاب إظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآني وهو الترابط التام بين قضايا السورة لتنسجم كلها تحت هدف واحد سماه الشيخ " موضوع السورة "[٢].

المبحث الثالث

منهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة القرآنية

من خلال التتبع والاستقراء لما سطره علماؤنا حول الهدف العام للسورة القرآنية -تنظيرا أو تطبيقا- في كتب التفسير وغيرها، يسر الله -بفضله وكرمه- الوقوف على(ثماني عشرة) وسيلة، اعتمد عليها العلماء لتحديد هدف السورة ومقصودها الرئيس، وقد قمت بجمعها وترتيبها، واستشهدت ببعض ما كتبوه تجلية للفكرة وتوضيحا لها، على نحو يمكن من خلاله تأطير منهج متكامل في هذا الجانب، وسوف أتناول ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: النظر الدقيق في افتتاحية السورة

المرد بافتتاحية السورة: بداية السور ومطلعها، وليس بالضرورة الكلمة الأولى الواردة في السورة أو الآية، وإنما المراد جملة المعاني المحورية المترابطة الدالة على موضوع أو قضية ما في بداية السورة، ولا غرو أن الألفاظ الحاملة لهذه المعاني داخلة في مسمى الفواتح والمطالع، لكن التركيز على المعنى مقصود لذاته، إذ المقصود هو بيان أثر هذه المعاني في الكشف عن هدف السورة.

وإن القارئ للسورة القرآنية يجد أنها تتكون من افتتاحية تحدد بدقة شديدة هدف السورة، والمنهج الذى ستسلكه هذه السورة في تقريره، ثم تتوالى الآيات بعد ذلك في بيان وتوضيح هذا الهدف في إطار ما حددته الآيات الأولى للسورة.

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ / عبد الحميد طهماز (١٩/١)، طبعة: دار القلم - دمشق – الأولى١٤٣٥هـ.

(٢) المرجع السابق: (١٩/١).

وهذا ما يسميه علماء البلاغة "براعة الاستهلال" وهى: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام من أجله[١].

ومن شروط براعة الاستهلال: " أن يكون أول الكلام مناسبا لمقتضى الحال، وبالغا حدا من الجودة، والفصاحة، وجزالة العبارة يجعله يأخذ بمجامع القلوب، ويشد انتباه السامعين؛ ذلك لأنه أول ما يقرع أذن السامع، ولو توفرت له هذه الشروط ستندفع نفس الإنسان بكليتها إلى الإقبال عليه، فتتمكن المعاني في مداركها، فتقود إلى الاقتناع بما يريده المتكلم، وهذه هي النهاية التي تستهدفها البلاغة التي هي من البلوغ أى بلوغ المتكلم بكلامه إلى أعماق نفس السامع أو القارئ تأثيرا واقتناعا"[٢]

والقرآن الكريم قد بلغ القمة في البيان والفصاحة ، وبالتالي جاءت فواتح سوره قمة في براعة الاستهلال، وهى على ما فيها من دلالة واضحة على هدف السورة، فإن فيها من دقة العبارة، وروعة الأساليب، وجوامع الكلم ما لو ذهب الدارس ليخرج كنوزه لوجد منه ما يبهر العقول ويحير الألباب، ولذا فقد حازت فواتح سور القرآن جانبا كبيرا من اهتمام علمائنا- قديما وحديثا - حتى إن بعضهم قد أفردها بالتصنيف، ومن هؤلاء العلامة "ابن أبى الأصبع"[٣] في كتابه "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح".

وتحدث عنها السيوطي في "الإتقان" فقال عن بلاغتها وروعتها: "من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم، والتأخير الملبس أو الذى لا يناسب "[٤].

وتحدث الدكتور/ دراز عن أثر الفواتح في بيان هدف السورة فقال:" توضح الآيات الافتتاحية في السورة الموضوع الذى ستعالجه في خطوطه الرئيسة، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة "[٥].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (٣/٣٦٣).

(٢) من مقال للدكتور/ عبد الغني الراجحي، نشر في مجلة " منبر الإسلام " عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٨هـ

(٣) هو العلامة ذكى الدين بن عبد العظيم بن عبد الواحد المصري، المتوفى سنة ٦٥٤هـ، وله من المصنفات "البديع"، وكتابه " الخواطر السوانح"، وقد ذكر هذا الكتاب صاحب كشف الظنون وأشار إليه السيوطي في كتابه " الإتقان ". ينظر: شذرات الذهب: ابن العماد (٥/٢٦).

(٤) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي(٣/٣٦٣).

(٥) مدخل إلى القرآن: د/ محمد عبد الله دراز (١٢٨)، طبعة: دار القلم – الكويت - الخامسة ١٤٢٤هـ.

ولذلك اهتم المفسرون بفواتح السور في تحديد الهدف وبيانه، واعتمدوا كثيرا على افتتاحية السورة، وسوف أعرض لبعض الأمثلة والنماذج على النحو التالي:

المثال الأول: أشار الإمام الرازي –رحمه الله – في مستهل حديثه عن سورة النساء أنها "سورة التكاليف"، وعرض لبعض التكاليف الشرعية الواردة في السورة الكريمة، واستدل على ما قال بافتتاحية السورة حيث ورد فيها الأمر بالتقوى، يقول – رحمه الله -: " اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه –تعالى- أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [(١)]، وذكر في أثناء هذه السورة أنواعا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع، لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا، فلهذا قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[(٢)].

المثال الثاني : يقول الإمام ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله – في سورة النساء: " إن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا، وناسب هذا المقصود من التواصل والألفة ما افتتحت به السورة بالالتئام والوصلة"[(٣)].

المثال الثالث: ما ذكره العلامة السيوطي في كتابه "قطف الأزهار" عند حديثه عن سورة التوبة في إشارة واضحة إلى تمام المناسبة بين فاتحة السورة وهدفها الذى سيقت له، وذلك على نحو يبين أن الإمام السيوطي قد جعل من فاتحة السورة سبيلا للوصول إلى معرفة هدفها، يقول –رحمه الله-: " قال الله –تعالى- ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾[(٤)]، انظر إلى هذا المطلع الذى تكاد براعته تسحر القلوب، وتبهر العقول، أما أولا فلمناسبته لمقاصد السورة، فإنها سيقت لنبذ العهود، وقتل الكفار حيث وجدوا، وطردهم من جزيرة العرب، وكشف

(١) سورة النساء: آية رقم (١٧٦).

(٢) مفاتيح الغيب: الرازي (٤٧٥/٩).

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير الغرناطي (٢٠٠).

(٤) سورة التوبة: آية رقم (١).

أسرار المنافقين، وما إلى ذلك فلا يكن مطلع لذلك أنسب ولا أبلغ من هذا المطلع المفتتح بالبراءة، ثم إضافة هذه البراءة إلى الله ورسوله، وفيها من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى "[١].

المثال الرابع: يقول العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره لسورة غافر: " تضمنت هذه السورة أصول الدعوة إلى الإيمان، فابتدأت بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن، كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتهما كما تقدم في أول سورة البقرة، وأجري على اسم الله –تعالى- من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة"[٢].

المثال الخامس: ما ذكره الشيخ سعيد حوى في مستهل تفسيره لسورة يونس: " تبدأ السورة بآية تدل على مضمون السورة وهي: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[٣]، فالآية الأولى في السورة تذكر حكمة الكتاب، وذلك يؤكد أنه لا ريب فيه، وأنه هدى يجب أن يهتدي الناس به، فهذه الآية التي هي مقدمة السورة تشير إلى مضمون السورة، كما أنها في محلها تحقق ما يسمى في علم البلاغة (ببراعة الاستهلال) على أعظمه وأروعه، ولله ولكتابه المثل الأعلى، وتنزه كتابه وكلامه أن يشبه كلام البشر "[٤].

وقال - أيضا- في تفسيره لسورة الصافات:" تبدأ سورة الصافات بقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤﴾[٥]، فالسورة تبدأ بقسم، وجواب للقسم، ومن جواب القسم نعلم موضوع السورة الرئيسي وهو وحدانية الله -ﷻ-"[٦]، ثم تسير السورة حتى تصل إلى قوله: (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)[٧].

المثال السادس: في تفسيره لسورة آل عمران ذكر الشيخ عبدالحميد طهماز أن موضوع هذه السورة الكريمة " القرآن والإسلام "[٨]، وقد استدل على ذلك بافتتاحية السورة الكريمة، يقول – رحمه الله-: " برز موضوع السورة في أول آياتها، حيث يقول الله –تعالى –: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار: السيوطي (١١٢٩/٢)، طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر - الأولى ١٤١٤ هـ.

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٧٧/٢٤).

(٣) سورة يونس: آية رقم (١).

(٤) الأساس في التفسير: سعيد حوى (٢٤٢٦/٥).

(٥) سورة الصافات: الآيات (١-٥)

(٦) الأساس في التفسير: سعيد حوى(٨/ ٤٥٧٩).

(٧) سورة الصافات: آية رقم (١١)

(٨) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ / عبد الحميد طهماز(٤٣٩/١).

ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾[1]

ويرى الباحث أن هذه الوسيلة من أهم الوسائل التي اعتمد عليها العلماء في بيان أهداف السور، والأمثلة أكثر من أن تنحصر، بما يدل دلالة واضحة على أهمية فواتح السور في الدلالة على الهدف.

غير أن فواتح السور ليست سواء في الدلالة على الهدف، فهناك فواتح تدل مباشرة على الهدف دون حاجة لمزيد تأمل أو تدبر فهي واضحة الدلالة على الهدف، ويمثل لهذا النوع من الفواتح بسورة النور، حيث يقول الحق –سبحانه – في بداية السورة ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾[2] ثم أتبع الله الآية الأولى بالحديث عن قبح جريمة الزنا وبيان عقوبتها في الإسلام فدل ذلك بوضوح على ان هذه السورة هي سورة " حفظ المجتمع الإسلامي من الجرائم والفواحش "، ومن هذا النوع هذه السور الكريمة " المائدة – الأنعام – الأنفال – التوبة – عبس" وغيرها من السور التي بدأت بفواتح مباشرة واضحة الدلالة على الهدف.

وهناك فواتح أخرى لا تحمل ذات الدلالة المباشرة على الهدف، ولكنها تحتاج إلى مزيد تأمل وطول فكر ونظر، كما هو الحال مثلا في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، فالحديث بعدها يتجه نحو القرآن والتأكيد على أنه من عند الله وربما لم يكن هذا هدف السورة، كما هو الحال في سورة الأعراف –مثلا -، ومثل هذه الافتتاحية تحتاج إلى طول تأمل للوصول إلى الهدف من خلالها، ولذلك ربما يستعان هنا بما يلي هذه الفواتح من آيات، أو ببعض الوسائل والمحددات الأخرى التي تقرب هذا الهدف وتجليه كالنظر في اسم السورة أو فضائلها أو سبب نزوها أو ما ورد فيها من قصص.

المطلب الثاني: القراءة الجيدة لخاتمة السورة

اتفقت كلمة أعلام البلاغة على أن خواتيم السور كفواتحها، جاءت هي الأخرى في غاية الجودة ونهاية الكمال، إذ اختتمت على أحسن وجوه البلاغة وأفضل أنحاء البراعة، وإذا كانت فواتح السور تدل على مقصودها لتهيئ النفوس لاستقبال تلك المقاصد، فإن الخواتيم جاءت على نحو بديع وعجيب، حيث اشتملت على ما يجمل ويلخص هدف السورة.

(١) سورة آل عمران: الآيات (١-٥).

(٢) سورة النور: آية رقم (١).

يقول العلامة ابن أبي الأصبع: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ومواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوف إلى ما يقال"(١).

ويقول العلامة الزركشي(٢) في البرهان عن خواتم السور: " وهي مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد "(٣)

ولذلك اعتمد كثير من المفسرين على خواتيم السور لبيان هدفها العام، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: قال العلامة الرازي –رحمه الله – في سورة النحل: " اعلم أنه - تعالى - لما زيّف في هذه السورة مذاهب المشركين في أشياء، منها قولهم بإثبات الشركاء والأنداد لله تعالى، ومنها طعنهم في نبوة الأنبياء والرسل، وقولهم لو أرسل الله رسولا لكان ذلك الرسول من الملائكة، ومنها قولهم بتحليل أشياء حرمها الله، وتحريم أشياء أباحها الله، فلما بالغ في إبطال مذاهبهم في هذه الأقوال وكان إبراهيم -عليه السلام- رئيس الموحدين وقدوة الأصوليين وهو الذى دعا الناس إلى التوحيد وإبطال الشرك وإلى الشرائع والمشركون كانوا مفتخرين به معترفين بحسن طريقته مقرين بوجوب الاقتداء به، لا جرم ذكره الله – تعالى- في آخر هذه السورة، وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الإقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك "(٤).

وهنا نجد الإمام الرازي قد استأنس بخاتمة سورة النحل في حديثها عن خليل الرحمن بما يؤكد على هدفها الذي سيقت له وهو "الرد على شبهات المشركين ودحض مذاهبهم الباطلة " كما يفهم من كلامه، فخليل الرحمن هو نموذج التوحيد وإبطال الشرك، ولذا ختمت السورة بالحديث عنه في هذا الجانب وأمر النبي بوجوب متابعته، قال الله –تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

(١) بديع القرآن: ابن أبى الأصبع (٣٤٣)، طبعة: الدار العربية للموسوعات - لبنان - الأولى ١٤٣٠.

(٢) هو العلامة محمد بن بهادر بن عبد الله العالم العلامة المصنف المحرر بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي، فقيه شافعي، أصولي، مُحدث، وُلد في القاهرة سنة ٧٤٥ هـ، وتُوفي سنة ٧٩٤هـ، أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسنوي وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى حلب وأخذ عن الشيخ شهاب الدين الأذرعي، ترك الإمام الزركشي تراثا علميا مهما، ومن مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط، في أصول الفقه، سلاسل الذهب في أصول الفقه، وإعلام الساجد بأحكام المساجد. ينظر: طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة(١٦٧/٣)، طبعة: عالم الكتب –بيروت - الأولى ١٤٠٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن: الزركشي (١٨٢/١).

(٤) مفاتيح الغيب: الرازي (٢٨٣/٢٠).

ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[١].

المثال الثاني: ما ذكره العلامة الطاهر بن عاشور في بيان هدف سورة الصافات: " قوله –تعالى -: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[٢] خطاب للنبي- ﷺ- تذييلا لخطابه المبتدأ بقوله –تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾[٣]، وهو خلاصة جامعة لما حوته السورة من تنزيه الله وتأييده رسله، وهذه الآية فذلكة[٤] لما احتوت عليه السورة من الأغراض، حيث جمعت تنزيه الله والثناء على الرسل والملائكة وحمد الله "[٥]، وواضح من كلام ابن عاشور أن هدف السورة عنده:" تنزيه الله والثناء على رسله وملائكته"، وقد استدل على ذلك بما ختمت به السورة من تسبيح الله وتنزيهه عن الشركاء، وثناء الله على صفوة خلقه من أنبيائه وملائكته.

المثال الثالث : يقول الشيخ محمد سيد طنطاوي-رحمه الله- في ختام سورة الأنعام: " ثم ختمت السورة الكريمة بخمس آيات جامعة لوجوه الخير، من تأملها تجلى له أنها ختام حكيم يناسب هذه السورة التي هي سورة البلاغ والإعلان، والمبادئ العليا لدعوة الإيمان"[٦].

المثال الرابع: يقول الشيخ سعيد حوى في ختام سورة الإسراء: " وهذه السورة تحذر المسلمين من اتباع خطوات الشيطان، وتأمرهم بالإسلام والقرآن كله، وإذ كان الهدف هو الدخول في الإسلام كله بالالتزام بالقرآن كله، والإيمان برسول الله -ﷺ -، وذلك مقتضى معرفة الله، ومقتضى شكره، فقد ختمت السورة بمجموعة تضمنت هذه المعاني وأمثالها "[٧].

---

(١) سورة النحل: الآيات (١٢٠-١٢٣).

(٢) سورة الصافات: الآيات رقم (١٨٠-١٨٢).

(٣) سورة الصافات: آية رقم (١٤٩).

(٤) فذلكة الأمر: خلاصته ومجمل ما فصل، والمفرد: فذلكة، ويجمع على فذلكات. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار.

عبد الحميد عمر وفريق من العلماء(١٦٨٣/٣)، طبعة: عالم الكتب – القاهرة -الأولى ٢٠٠٨م

(٥) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٩٩/٢٣).

(٦) التفسير الوسيط: د/ محمد سيد طنطاوي (٢٢٩/٥)، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، الأولى ١٩٩٨.

(٧) الأساس: سعيد حوى (٣١٣٣/٦).

المطلب الثالث: الربط بين فاتحة السورة وخاتمتها

من أهم الأمور التي اعتمد عليها العلماء في بيان هدف السورة " الربط بين فاتحة السورة وخاتمتها "، فهناك ارتباط وثيق بين فاتحة السورة وخاتمتها، وبالنظر الدقيق في البدء والختام يمكن تحديد هدف السورة، أشار العلامة السيوطي -رحمه الله- إلى هذا بقوله: " وقد قدمنا غير مرة أن سور القرآن تستفتح بما يشير إلى المقصود ثم يستطرد منه إلى غيره بأدنى ملائمة ثم يشار في آخر السورة إلى مثل ما افتتح به، وهذا يكاد يكون كثيرا إن لم يكن مطردا "[١].

ومن دلائل اهتمام الإمام السيوطي بهذا الجانب من وجوه التناسب ألف كتابه الرائع " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع "، غير أنه لم يهتم ببيان محور السورة في ضوء ما توصل إليه من تناسب بين فواتح السور وخواتيمها.

ويقول الشيخ عبد الحميد الفراهي: "إني رأيت في ترتيب كلام الله - وله الحمد على ما أراني- أن الكلام ينجر من أمر إلى أمر وكله جدير بأن يكون مقصوداً، فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة، وإن من عادة العرب وفطرة البلاغة أن ينجر الكلام من أمر إلى آخر، ثم يعود إلى الأول أو الوسط وإذا كان المخاطب عالماً بأسباب الكلام عاقلاً له بقلبه لم يشكل عليه نظمه"[٢].

ويتحدث العلامة أبو حيان[٣] عن نتيجة مهمة توصل إليها بعد تتبعه لسور القرآن لاسيما السور الطوال، فقد ذكر أنه توصل إلى أن هناك ارتباطا وثيقا بين فواتح السور وخواتيمها، ويعد تفسيره من التفاسير الرائدة في هذا الجانب الذى سماه بعض العلماء "رد العجز على الصدر"، وسماه بعضهم "عطف البدء على الختام"، وهو من آكد وجوه المناسبات على مستوى السورة، غير إن الإمام أبا حيان لم يهتم ببيان الهدف العام في ضوء ما توصل إليه من مناسبة بين البدء والختام، يقول العلامة أبوحيان في تفسيره: " وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم

---

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار: السيوطي(١٠٨/٢).

(٢) دلائل النظام: عبد الحميد الفراهي(٩٨).

(٣) هو الإمام المفسر محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي، المعروف بأبى حيان، نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه. ولد بغرناطة. ودرس القرآن والحديث والنحو واللغة بالأندلس، وتنقل بالمغرب ومصر والشام والحجاز، وسمع من نحو أربعمائة وخمسين شيخا، وتولى التدريس بمدارس مصر والشام ومساجدها. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه "البحر المحيط" في تفسير القرآن، و"تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، توفي بالقاهرة سنة٧٤٥هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي (٢٨٠/١)، طبعة: المكتبة العصرية –لبنان - الأولى ١٤١٩.

منها شيء، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة، وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذا في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلا، ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا، ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظم أنه لا مناسبة له "[١].

ومن أمثلة الربط بين الفاتحة والختام لبيان الهدف ما يأتي:

المثال الأول: ما ذكره أبو جعفر بن الزبير في ذكره لهدف سورة الأحقاف مستعينا على ذلك بالربط بين مطلع السورة ومقطعها: "لما انبنت السورة على ما ذكر من مآل من كذب وكفر، فقد افتتحت بإعراضهم، ثم اختتمت بما قد تقرر من تقريعهم وتوبيخهم ".[٢]

المثال الثاني: ما أورد العلامة البقاعي في بيان مقصود سورة النمل: " مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين، بيوم اجتماع الأولين والآخرين "[٣].

ثم قال بعد ذلك في أواخر السورة: "وقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب وتفخيم القرآن وتقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، وعانق ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، وعلم مجملها وفصلها، إلى غير ذلك مما يظهر عند تدبرها وتأملها "[٤].

المثال الثالث: ما ذكره الإمام ابن عاشور في بيان الهدف العام لسورة " طه " معتمدا على الربط بين خاتمة السورة الكريمة وبدايتها بقوله:" وقد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام؛ لإيذانها بانتهاء المحاجة وانطواء بساط المقارعة، ومن محاسنها: أن فيها شبيه رد العجز على الصدر؛ لأنها تُنَظِّرُ إلى فاتحة السورة؛ لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاجَ[٥] صدره أنه أدى الرسالة والتذكرة، فلم يكونوا من أهل الخشية، فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[٦].

---

(١) البحر المحيط: أبوحيان (٧٥٥/٢)، طبعة: دار الفكر – بيروت - الأولى ١٤٢٠.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن: أبوجعفر بن الزبير (٣٠٧/١).

(٣) نظم الدرر: البقاعي (١٢٢/١٤).

(٤) المرجع السابق: (٢٣١/١٤).

(٥) أي: انشراح صدره واطمئنان نفسه وإدخال السرور عليه، من قولهم: ثلج الرجل بخبر أتاه: إذا سر به. ينظر: جمهرة اللغة: ابن دريد (١/ ٤١٥)، طبعة: دار العلم للملايين - بيروت - الأولى ١٩٨٧م.

(٦) التحرير والتنوير: ابن عاشور(٣٤٩/١٦).

المثال الرابع: ما ذكره العلامة الشيخ/ مصطفى مسلم في تفسيره لسورة الفرقان: " محور سورة الفرقان هو الحديث عن القرآن الكريم، باعتباره معجزة رسول الله -ﷺ- ودليل صدقه، ولو نظرنا إلى الافتتاحية والخاتمة للسورة لوجدناهما تتحدثان عن القرآن المنزل المشتمل على الهدايات"[١].

المطلب الرابع: الاستعانة بخواتيم السورة للكشف عن هدف التي تليها

هذا مما انفرد به الإمام البقاعي، واعتمد عليه كثيرا في بيان الهدف، فقد نظر –رحمه الله – في خواتيم بعض السور واهتدى بها لتحديد هدف ما يليها، وطبق ذلك على كثير من سور القرآن في كتابيه: " نظم الدرر"، و"مصاعد النظر ".

وكانت عبارة البقاعي في هذا المقام " ومقصودها آخر ما قبلها "، وهذا الوجه من المناسبة غير الذى سبقه، فالوجه السابق ربط على مستوى السورة الواحدة " الافتتاحية والختام"، وهنا الربط على مستوى السورتين، حيث البحث عن المناسبة بين خاتمة السورة وهدف التي تليها، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره العلامة البقاعي –رحمه الله - في تفسيره لسورة القمر: " مقصودها بيان آخر النجم في أمر الساعة من تحققها وشدة قربها وتصنيف أهلها إلى طالب علم مهتد به، وإلى متبع نفسه هواها وشهواتها ضال بإهمالها فهو خائب".[٢]

المثال الثاني: ما ذكره العلامة البقاعي في بيانه لمقصود سورة " القلم " من خلال النظر في خاتمة سورة الملك، يقول –رحمه الله: " مقصودها إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم في آية" فستعلمون من هو في ضلال مبين" بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته العلم، الذي هو النور الأعظم الذي لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن والتخلق بالفرقان، الذي هو صفة الرحمن بقدر الإمكان الذي تصل إليه قوة الإنسان"[٣].

المثال الثالث: ما ذكره البقاعي –أيضا- في تحديده لهدف سورة الإنسان في ضوء خواتيم سورة القيامة، حيث يقول –رحمه الله -: " مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان بتعذيب العاصي في النيران وتنعيم المطيع في الجنان، بعد جمع الخلائق كلها الإنس والجان والملائكة وغير ذلك من الحيوان، ويكون لهم مواقف طوال وأهوال وزلزال، لكل منها أعظم شأن"[٤].

---

(١) المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان: مصطفى مسلم (٤٩). طبعة: دار القلم-دمشق - الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) نظم الدرر: البقاعي(٦٨/١٩).

(٣) المرجع السابق: (٢٠/ ٢٧٢).

(٤) المرجع نفسه: (١٤٤/٢١).

المثال الرابع: حديث الإمام البقاعي عن سورة " عبس" وأن هدفها شرح وتفصيل لما ختمت به سورة النازعات وهو قوله الله-تعالى- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾[١]، يقول –رحمه الله -: " مقصودها شرح قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ بأن المراد الأعظم تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه، والتعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور"[٢].

المثال الخامس: ما ذكره الشيخ / محمد محمود حجازي في تفسيره سورة المطففين، حيث يقول –رحمه الله -: "وتتضمن هذه السورة تفصيلا لبعض أنواع الفجور كالتطفيف في الكيل، والتكذيب بيوم الدين، فكأن هذه السورة جاءت بيانا للسورة السابقة"[٣].

المطلب الخامس: الرجوع إلى زمان نزول السورة

عُني كثير من علمائنا بالتتبع التاريخي لنزول السورة لتحديد هدفها، ذلك لأنه من الضروري عند تحديد الهدف أن نرجع إلى زمان النزول للسورة، ونعرف كونها مكية أو مدنية، وبهذا يتحدد بدقة هدف السورة الذى سيقت له.

ومن الثابت المعلوم أن السور القرآنية منها المكي ومنها المدني، ولكل منهما خصائص ومميزات، والموضوعات التي يعالجها القرآن المكي تختلف عن الموضوعات التي يعالجها القرآن المدني، فالسور المكية تعالج مسائل العقائد؛ وذلك لأنها نزلت في مكة بين الكفار فدار الحديث فيها معهم، فوضحت فساد عقائدهم، وبطلان ما هم عليه، وبينت العقائد الصحيحة التي جاء بها الإسلام، وقد وزعت هذه الأهداف الرئيسة على السور المكية، فكانت سمة بارزة من سمات القرآن المكي أن يعالج هذه القضايا، ويجسد تلك الموضوعات.

أما السور المدنية الغالب فيها الكلام عن الأخلاق والآداب والسلوكيات والأحكام الشرعية، وقد كثر الحديث فيها كذلك عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأن المسلمين اختلطوا بهم بعد هجرتهم، وهناك صنف آخر لم يكن موجودا في مكة وهم المنافقون الذين تهيبوا قوة الإسلام فجبنوا عن مواجهته، وما حملتهم نفوسهم المريضة على الإخلاص له فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وهؤلاء كان للسور المدنية مواقف كثيرة معهم، حيث كشفت زيفهم وفضحت أمرهم، وكذلك أعلن الكفار

(١) سورة النازعات: آية رقم (٤٥).

(٢) نظم الدرر: (٢٤٩/٢١).

(٣) التفسير الواضح: د/ محمد محمود حجازي (٨٣٦/٣)، طبعة: دار الجيل الجديد – بيروت، العاشرة ١٤١٣هـ.

الحرب على الإسلام بعدما رأوا هذه الدولة الجديدة بدأت تظهر عالمها وتقوى شوكتها، فجاءت السور المدنية تجسد أحداث هذه الحروب إلى غير ذلك مما اشتملت عليه السور المدنية[١]، وأيضا قد وزعت هذه الأهداف على السور المدنية، فكانت سمة بارزة من سمات القرآن المدني أن يعالج هذه القضايا، ويبحث تلك الموضوعات.

يقول ابن جزي[٢] في التسهيل: " واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الردّ على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي -ﷺ-"[٣].

ولذلك اهتم كثير من علمائنا بهذا الاعتبار في تحديد هدف السورة، ومن أمثلة ذلك..

المثال الأول: ما ذكره الإمام الشاطبي-رحمه الله- في بيان هدف سورة " المؤمنون " معتمدا على تاريخ نزولها: "وسورة "المؤمنون" نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله –تعالى- "[٤]

وهذه المعاني الثلاثة التي قصدها الإمام الشاطبي هي تقرير وحدانية الله، وتقرير نبوة محمد ﷺ، وإثبات أمر البعث، وهذا غالب ما يقرره القرآن المكي.

المثال الثاني: ما ذكره صاحب التحرير والتنوير في تفسيره لسورة الرعد:" ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتفريع المشركين وتهديدهم "[٥].

المثال الثالث: ما ذكره العلامة الدكتور/ محمد أبو زهرة في تحديده لهدف سورة النساء مستأنسا بتاريخ نزول السورة الكريمة، يقول – رحمه الله – " لقد اتفق الرواة على أن هذه السورة مدنية، أي نزلت بعد الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن ما اشتملت عليه يدل على أنها نزلت بعد أن كان للإسلام دولة تنظم علاقاتها بغيرها، وبعد أن من الله تعالى على الذين استضعفوا

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقانى (١٤٢/١) ، مباحث في علوم القرآن: مناع القطان(٦٣) طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت - الأولى ١٩٩٥.

(٢) هو الإمام الفقيه المفسر الأصولي الحافظ المحدّث اللغوي الأديب الحافظ محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن جزيّ، ويكنى بأبي القاسم الكلبي الغرناطي المالكي، وهو معروف بمحمد بن جُزي بالتصغير ويقال له: محمد الكلبي، ومن أشهر آثاره: التسهيل لعلوم التنزيل، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، والمختصر البارع في قراءة نافع، توفي سنة (٧٤١ هـ). ينظر: طبقات المفسرين: الداوودي(٨٥/٢).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (١٤/١).طبعة: دار الأرقم –بيروت - الأولى ١٤١٦.

(٤) الموافقات: الشاطبي(٢٦٩/٤).

(٥) التحرير والتنوير: ابن عاشور (١٣٤/١٢).

في الأرض وجعلهم أئمة يهدون بأمر الله تعالى فيها، وسورة النساء هي سورة الإنسانية، ففيها عَيَّن القرآن الكريم العلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض، وما ينبغي أن تنهجه المجتمعات الفاضلة في جعل العلاقة الإنسانية الأصيلة تسير في مجراها الطبيعي الذي رسمه رب العالمين بمقتضى الفطرة، وفيها ما حده الله - تعالى - لعلاج الانحراف الذي ينحرف به ذوو الأهواء من الآحاد والجماعات"(١).

المثال الرابع: ما أورده-أيضا - الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره لسورة النحل: "وهى كالسور المكية تتجه إلى إثبات التوحيد مما خلق الله من أرض وسماء وأحياء، وتأكيد للبعث والنشور، وإبطال عبادة الأوثان، وما اقترن بعبادة الأوثان من وأد البنات"(٢).

رأي العلامة الدكتور/ عبد المتعال الصعيدي

للعلامة الشيخ / عبد المتعال الصعيدي رأي معتبر في الاعتماد على زمان نزول السورة في التوصل إلى هدفها، فهو يرى أن حصر التقسيم في هذين الطورين فقط - المكي والمدني- غير كاف في تحديد الهدف بدقة ، وعلل لذلك بأن النبي - ﷺ - عاش في مكة ثلاثة عشرة عاما، ومكث في المدينة المنورة عشرة أعوام، ومثل هذه الفترة الزمنية تتغير فيها الأحداث، وتتجدد فيه الوقائع، فرأى أنه لابد من التوسع في بيان هذين الطورين حتى نصل إلى دراسة أدق وأعمق فيما يتعلق بأهداف السور، وبنى على هذا أنه لا بد من تقسيم هذين الطورين إلى أطوار قصيرة، وإلى حقب زمنية محددة تمثل الأحداث والوقائع التي مرت بها الأمة الإسلامية، والتي اقتضت نزول هذه السور.

ولذلك قسم –رحمه الله – الطور الأول وهو الطور المكي إلى أربعة أطوار أساسية:

الطور الأول: من نزول الوحى الشريف إلى الجهر بالدعوة:

وقد استغرق هذا الطور "ثلاث سنوات"، وهى تلك الفترة التي أمضاها النبي - ﷺ - في الدعوة إلى الإسلام سراً، وقد نزلت في تلك الفترة هذه السور: " العلق – القلم – المزمل– المدثر – المسد –التكوير – الأعلى – الليل – الفجر – الضحى – الشرح – العصر–العاديات–الكوثر–التكاثر–الماعون– الكافرون– الفيل– الفلق–الناس– الإخلاص".

وبالتأمل في المرحلة الزمنية التي نزلت فيها هذه السور الكريمة يمكن التوصل إلى الهدف الذى سيقت له هذه السور، والذى يأتي مناسباً للطور الذى نزلت فيه، ومن المعلوم أن هذه الفترة كانت

(١) زهرة التفاسير: الشيخ / محمد أبوزهرة (١٥٣٦/٣)، طبعة: دار الفكر العربي –القاهرة – الأولى ١٤٢٢هـ.
(٢) المرجع السابق: (٤١٢٠/١).

فترة نزول الوحى الشريف على النبي وبداية تكليفه وتشريفه بحمل الأمانة، فجاءت موضوعات هذه السور لتضع للنبي ﷺ أسس التحرك بالإسلام في هذه الفترة.

فرأينا السورة الأولى "سورة العلق" جاءت للإعلام بالدعوة، والسورة الثانية " سورة القلم " في تثبيته عليها، والسورة الثالثة " سورة المزمل " في تهيئته للدعوة، والسورة الرابعة " سورة المدثر " في استنهاض همته للقيام بهذه الدعوة، وتتوالى هذه السور في بيان أسس تحركه بدعوة الإسلام مع مراعاة زمن ابتداء الدعوة ، وحال المدعوين؛ ولهذا جاءت من قصار المفصل، فتناسبت في قصرها وأغراضها مع الجو والبيئة التي نزلت فيها.

الطور الثاني: من الجهر بالدعوة[١] حتى الهجرة الأولى إلى الحبشة:

أمر الله النبي - ﷺ - بالجهر بالدعوة بعد انقضاء ثلاث سنوات من نزول الرسالة، فقام بواجب البلاغ، وأخذ يتلو القرآن على مسامع المشركين، وفيه تفنيد لمعتقداتهم الباطلة، مع الإنذار الشديد بما ينتظرهم من عقاب في الدنيا والآخرة إن ظلوا على حالهم من العناد والاستكبار؛ وفى هذه الفترة ناصب المشركون المسلمين العداء، ووقفوا موقف المعاند والرافض لدعوة الإسلام، بل وامتدت يد الإيذاء والتعذيب حتى نالت كثيراً من المسلمين، واشتد الإيذاء والاعتداء على المسلمين حتى أمر النبي - ﷺ - أصحابه بالهجرة إلى الحبشة[٢]، ويجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن هذه الفترة من أصعب الفترات وأشدها في تاريخ الدعوة[٣]؛ ولذلك فإن السور التي نزلت في هذا الطور جاءت لتعالج هذه القضايا؛ فنزلت السور في هذه الفترة لتوجه النبي - ﷺ - نحو الدفاع عن دعوة الإسلام، ودفع حجج المشركين بحجج أقوى وأبلغ، وتفنيد شبهاتهم المثارة حول القرآن والنبي والرسالة، مع أمر المسلمين بوجوب الصبر وتحمل الأذى فنزل من القرآن في هذه الفترة سور "النجم – الحجر–عبس – القدر– الشمس- البروج- التين – قريش – القارعة – القيامة –الهمزة– المرسلات – ق – البلد - الطارق - القمر –ص– الأعراف –الجن – يس– الفرقان – الأنعام – فاطر– مريم – طه – الواقعة ".

---

(١) في العام الرابع من بعثته -ﷺ- بدأ في الجهر بالدعوة والإعلان بها، وأول من بدأ بدعوتهم هم قومه وعشيرته، حيث جمعهم ووقف على جبل الصفا، ودعاهم جهارا إلى الإسلام، وذلك استجابة لقوله–تعالى –"وأنذر عشيرتك الأقربين "...سورة الشعراء: آية٢١٤. ينظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير (٥٨٤/١)طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى١٤١٣ هـ

(٢) وقد كان ذلك في رجب في السنة الخامسة من بعثة النبي- ﷺ-. ينظر: الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفوري (١١٥) . طبعة: دار الوفاء – مصر - الرابعة ١٤٢٢ هـ

(٣) تاريخ الإسلام: للذهبي (١٨٤/١) طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت - الرابعة٢٠٠١، السيرة النبوية: ابن هشام (٣٢١/١) طبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر – الثانية ١٣٧٥هـ.

الطور الثالث: من الهجرة إلى الحبشة إلى حادثة الإسراء والمعراج:-

في هذه الحقبة الزمنية استخدم المشركون مع النبي - ﷺ - وسائل أخرى بعدما فشلت وسيلة الإيذاء والتعذيب في القضاء على هذا الدين، فاستخدموا أسلوب التعنت بطلب المعجزات وخوارق الآيات، وإنما طلب المشركون تحقيق هذه المعجزات بهدف إظهار عجز النبي -ﷺ-؛ ولذلك لم يجابوا إلى ما طلبوا(١)؛ لأن الله – تعالى – علم منهم العناد والتعنت وليس طلب الإيمان والهدى، وقد شهدت هذه الفترة نزول السور التي تتناسب مع طبيعة هذه المرحلة، فنزل من سور القرآن: " الشعراء – النمل - القصص - يونس – هود – يوسف – الرحمن – الصافات – لقمان – سبأ – الزمر – غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الدخان – الجاثية – الأحقاف – الذاريات – العصر ".

الطور الرابع: من حادثة الإسراء والمعراج(٢) إلى الهجرة إلى المدينة المنورة:

في هذه الفترة نلاحظ أن النبي - ﷺ - قد مضى في مجابهة المشركين بالحجة والدليل والبرهان، ولم يمض في مجابهتهم بالقوة والسلاح؛ لأنه لم يؤمر بعد بالقتال، وقد وقع للنبي - ﷺ - في هذه الفترة حدثان عظيمان(٣) أثرا في نفسية رسول الله - ﷺ -، وإن لم يكن لهما أدنى تأثير في قيامه بواجبات الدعوة، وهذان الحدثان هما وفاة عمه أبي طالب، ووفاة زوجه السيدة خديجة؛ لذلك أكرمه الله بالرحلة المباركة " رحلة الإسراء والمعراج" تسلية له وتسرية عنه - ﷺ -.

وفي هذه الفترة –أيضاً- كان المشركون قد فشلوا فشلاً ذريعاً في القضاء على الإسلام، ولما أعيتهم الحيلة ما كان منهم إلا الذهاب إلى اليهود والاستعانة بهم ليلقنهم اليهود وسائل أخرى يستطيعون بها القضاء على الإسلام، ولم يتأخر اليهود في ذلك، بل أجابوا المشركين إلى ما طلبوا، وكان أن عرض اليهود على المشركين بعض الأسئلة ليقوموا بتوجيهها إلى النبي - ﷺ - على سبيل التعجيز.

ولذلك فإن السور التي نزلت في هذه الفترة تتناول في مجملها هذه الأحداث وتعالج تلك الوقائع: فنزل من سور القرآن هذه السور المباركة: " الإسراء-الكهف – النحل – نوح – إبراهيم – الأنبياء – المؤمنون – السجدة – الطور – الملك – الحاقة – المعارج – النبأ – النازعات - الانفطار – الانشقاق – الروم - العنكبوت ".

---

(١) دلائل النبوة: البيهقي (٢٦٢/٢) طبعة دار الريان – القاهرة - الأولى ١٩٨٨.

(٢) ذكر ابن هشام أن حادثة الإسراء كانت قبل الهجرة بسنة وشهرين أي في العام الثاني عشر من بعثة النبي- ﷺ. ينظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).

(٣) فقه السيرة: ابن القيم (٦٨) طبعة مكتبة الإيمان – القاهرة - الأولى ١٩٩٧.

وقسم الشيخ / عبد المتعال الصعيدي – رحمه الله - الطور الثاني وهو الطور المدني إلى ثلاثة أطوار رئيسة:

الطور الأول: من الهجرة إلى المدينة المنورة إلى صلح الحديبية:

في هذه الفترة نجد أن الدعوة الإسلامية قد مرت بمرحلة مختلفة تمام عما سبق، وكذلك اختلف حال المسلمين في المدينة عن حالهم في مكة، حيث بدأ المسلمون في بناء الدولة، أصبحت لهم سيادة وقوة ومنعة، ولذا أمر الله المسلين بالجهاد، ومواجهة الأعداء بالقوة والسلاح، ونظراً لأن اليهود كانوا في المدينة رأينا القرآن قد انتقل من الحديث عن كفار مكة إلى الحديث عن اليهود، وكشف مؤامراتهم، وكان إلى جانب اليهود فريق آخر من الفرق المعادية للإسلام والمسلمين وهم المنافقون، وهؤلاء قد وقف القرآن معهم وقفات طويلة، وحمل عليهم حملة لا هوادة فيها، وقد كان لهذه الملابسات والظروف الخاصة "مشروعية الجهاد، ووجود اليهود والمنافقين" أثرها البالغ في اتجاه سور القرآن نحو معالجة هذه القضايا والتركيز عليها، ولهذا نرى أن السور التي نزلت في هذه الفترة هذه السور الكريمة: "البقرة – الأنفال – آل عمران – الحشر - الأحزاب - المطففين – النساء ".

الطور الثاني: من صلح الحديبية إلى غزوة تبوك[١]:

وهذا الطور كان بداية هدنة بين الإسلام والشرك، فتفرغ النبي - ﷺ - لنشر دعوة الإسلام، ومكاتبة الملوك والرؤساء خارج جزيرة العرب، ولم يكن هناك قتال بين المسلمين والمشركين كما كان من قبل.

ولذلك نجد أن الحديث عن القتال وأحكامه في السور التي نزلت في هذه الفترة قليل جداً، وكان الطابع الغالب على هذه السور هو حديثها عن تنظيم أمور المسلمين فيما يخص الحياة الاجتماعية.

فنزل في هذه الفترة سور "الفتح – الزلزلة – الممتحنة – الحديد – محمد – الرعد – الإنسان – الطلاق – البينة – النور – الحج – المنافقون – المجادلة – الحجرات – التحريم – الجمعة – التغابن - الصف ".

الطور الثالث: من غزوة تبوك إلى وفاة النبي - ﷺ -:

وفى هذه الفترة انتشر الدين في بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها، وانتهى أمر الشرك؛ لتبقى دولة الإسلام خالصة للإسلام وحده، ولذلك نزل في هذه الفترة سور "التوبة – المائدة – النصر"[٢].

---

(١) كان صلح الحديبية في العام السادس من هجرة النبي - ﷺ -،ووقعت غزوة تبوك في العام التاسع من الهجرة. سيرة ابن هشام (٤/٢).

(٢) النظم الفني في القرآن الكريم: د/ عبد المتعال الصعيدي (٣٢).

ويرى الباحث أن ما ذكره الدكتور الصعيدي –رحمه الله – يسهم في تحديد الهدف العام للسورة القرآنية بدقة شديدة، حيث يراعى فيه تحديد الحقبة الزمنية لنزول السورة، غير أن ما يؤخذ على هذا التقسيم افتقاره إلى الدليل الذى يمكن من خلاله الجزم بأن هذه السورة نزلت في هذه الحقبة الزمنية التي ذكرها الشيخ، فالروايات الواردة في بيان الحقبة الزمنية وتحديدها بهذا الشكل قليلة جدا، وجاءت في بعض السور فقط، كما جاء في سورة الفتح وسورة النصر مثلا، حيث جاء في الأولى أنها نزلت عند منصرف النبي -ﷺ- من الحديبية، فعلم أنها نزلت في العام السادس من الهجرة، وكذا في الثانية حيث ورد أنها نزلت في العام الذى قبض فيه رسول الله، فعلم أنها نزلت في العام العاشر من الهجرة، ولم يثبت مثل هذا في الكثرة الكاثرة من سور القرآن، فبقي القول بمكيتها أو مدنيتها "إجمالا"، دون تحديد للحقبة الزمنية على جهة التفصيل.

المطلب السادس: التأمل في اسم السورة الذى اشتهرت به

الاسم يدل على المسمى، ولو لم يكن للأسماء أثر في مسمياتها لما كان له فائدة، ولا ريب أن الاسم يراد به تعريف المسمى وتمييزه عن غيره، ولذلك فإن أسماء الله –تعالى-كلها حسنى، وأسماء رسوله –ﷺ–كلها حميدة، وأسماء الأشياء الشريفة ذات مغزى ومعنى، فالسيف والأسد لهما من الأسماء ما يجاوز المائة، وكلها ذات دلالة، وكذلك الحال في أسماء السور، فهي كالعنوان لها، تدل على معانيها وتكشف ما جوته آياتها وسواء قلنا إنها توقيفية أو اجتهادية فهي مناسبة لهدف السورة ومقصودها[١].

ولذلك كانت أسماء السور التي عرفت واشتهرت بها من أهم الوسائل التي اعتمدها العلماء في بيان هدف السورة وذلك للارتباط الوثيق بين اسم السورة وهدفها العام، فالأسماء قوالب للمعاني كما قرر ذلك العلامة ابن القيم:" (لمَّا كانت الأسماء قوالب للمعاني ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة"[٢].

يقول البقاعي–رحمه الله –: " وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبات بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه "[٣]، ويقول في كتابه

(١) مقاصد السور " عرض ودراسة ": د/شافي سلطان العجمي (٦٢٣).

(٢) زاد المعاد: ابن القيم (٤٠١/٢)، طبعة: دار ابن حزم –بيروت - الثالثة ١٤٤٠هـ.

(٣) نظم الدرر: البقاعي (٨١/١).

مصاعد النظر: " إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها "[١].

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

المثال الأول: ما أورده الإمام البقاعي عند تفسيره لسورة آل عمران، فهو في بداية حديثه يؤكد أن مقصود السورة إثبات أن الله حي قيوم أو بلفظ أوجز الله واحد، فهي سورة التوحيد، ثم أخذ يستدل على ذلك بما دل عليه تسميتها بهذا الاسم ، يقول –رحمه الله "إن العادة قد جرت على أن الإنسان يولد من أبوين، وكون أسرة آل عمران يولد من نسلها عيسى بدون أب فيه خرق لهذه العادة، فلابد أن تكون هناك قوة عليا تخلقه على هذا النحو، وهذه القوة العليا بلا شك هي قوة الله، الذى يفيض الحياة على الناس جميعاً، وصفاته لابد أن تكون مغايرة لصفات المخلوق، إذا فهو واحد، فكأنه لوحظ في معنى التسمية أن يقال: ضع نصب عينيك آل عمران، ففيهم آية تدل على الوحدانية لله – تعالى-"[٢].

المثال الثاني: قال البقاعي في مقدمة تفسيره لسورة الأحزاب: "مقصودها الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق؛ لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله، فهو يعلي من يشاء وإن كان ضعيفا، ويردي من يريد وإن كان قويا، فلا يهتمن الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره ولا خوف منه في عظيم شره وخفي مكره، واسمها واضح في ذلك"[٣]

المثال الثالث: ما ذكره العلامة الدكتور مصطفى مسلم في سورة النساء: " سورة النساء من السور التي ثبت اسمها توقيفاً، ولو بحثنا عن العلاقة بين هذا الاسم وبين محور السورة لم نحتج إلى جهد كبير، فإن النساء رمز لطبقة في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى رعاية وعناية خاصة، فالمرأة تحتاج إلى من يرعى شؤونها في كل مراحل حياتها سواء كانت بنتاً أو أختاً أو زوجة أو أماً، فمحور سورة النساء يدور حول (رعاية حقوق الضعفاء – المرأة واليتيم – في المجتمع الإسلامي)، لذا نجد أن افتتاحية السورة تحدثت عن حقوق اليتيم ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [٤]، وتحدثت عن الإقساط في حق اليتيمات في الصداق والنفقة، وعن العدل بين الزوجات وعن إعطاء المرأة حقها في الإرث ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: البقاعي (١٤٩/١).

(٢) المرجع السابق: (٨٤/١).

(٣) نظم الدرر: (٢٧٣/١٥).

(٤) سورة النساء: آية رقم (٢).

تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ [١] وتحدثت بعض مقاطع السورة عن المحرمات من النساء، وعن حل مشاكل الزوجية والرفق بالمرأة في حال نشوزها... إلى أن تختم السورة بآية الكلالة وهي أضعف أنواع الوارثين، فاسم السورة رمز لرعاية حقوق الضعفاء في المجتمع، ومحور السورة يدور حول ذلك"[٢].

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن بعض سور القرآن جاء اسمها واضحا صريحا في الدلة على هدفها، ومن هذه السور سورة المنافقون، فقد جاءت كلها في النفاق وأهله، كما هو واضح من التسمية، وكذلك سورة القيامة، فاسمها واضح الدلالة في أن السورة تتناول مشاهد يوم القيامة وما يكون في هذا اليوم من أهوال جسام.

وقد تدق دلالة اسم السورة على محورها، كسورة الأعراف والعنكبوت، وهذا مما يحتاج إلى إطالة نظر إعمال فكر وتأمل دقيق للوصول إلى الهدف[٣] .

المطلب السابع: البحث في الأسماء الأخرى للسورة

هناك بعض السور تعددت أسماؤها، وثبت لها أسماء أخرى غير ما اشتهرت به، وقد لاحظ بعض العلماء علاقة ما بين هذه الأسماء وهدف السورة، فالتمسوا تحديد هدفها في ضوء الاستئناس بالأسماء الأخرى للسورة في محاولة لتفسير هذه الأسماء والربط بينها وبين الهدف العام للسورة.

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره العلامة أبو السعود[٤] في تفسيره سورة الفاتحة، فقد أشار –رحمه الله- إلى أنه من أسماء السورة الثابتة بالتوقيف " أم القرآن وأم الكتاب"، ثم أخذ يستنبط من هذه التسمية ما فيه دلالة مجملة على هدف السورة ومحورها، يقول –رحمه الله – "وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأ له إما لمبدئيتها له، وإما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحِكَم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب، وتسمى أم الكتاب

(١) سورة النساء: الآية رقم (٧).

(٢) المعجزة والرسول: د/ مصطفى مسلم (١٢)، ط: دار القلم – دمشق - الأولى ١٤٢٧هـ.

(٣) المرجع السابق:(١٢).

(٤) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد سنة ٨٩٨هـ بقرية قريبة من القسطنطينية في بيت عرف بالعلم والفضل، وله مؤلفات كثيرة ومنها تفسيره " إرشاد العقل السليم "، وتوفى سنة ٩٨٢هـ، ينظر طبقات المفسرين: الداودي ٢٩٨/١، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين الغزى(٣١/٣) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٩٩٧.

أيضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ؛ لكونه أصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات"[١].

المثال الثاني: يقول الإمام البقاعي في حديثه عن سورة المائدة " مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق؛ شكراً لنعمه واستدفاعاً لنقمه، وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها أن من زاغ عن الطمأنينة بعد الكشف الشافي والإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه العذاب، وتسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها وكذا الأحبار"[٢]، وفي هذه العبارة يظهر أن الإمام البقاعي قد استأنس بتسمية سورة المائدة " سورة العقود- سورة الأحبار" على بيان هدفها.

المثال الثالث: ويقول البقاعي –أيضا- في سورة يس: " وتسمى القلب والدافعة والقاضية والْمُعِمَّةَ– أي التي تعم صاحبها بخيرى الدنيا والآخرة-، ومقصودها إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، المفاض فيه من جهة الملك، وقلب جميع الحقائق وبها قوامها للمرسل بها الذي هو خالصة المرسلين، الذين هم قلب الموجودات كلها ذوات ومعاني إلى أهل مكة أم القرى وقلب الأرض وهم قريش قلب العرب الذين هم قلب الناس، بصلاحهم صلاحهم كلهم، وبفسادهم فسادهم، فلذلك كان من حولها جميع أهل الأرض، وجل فائدة الرسالة: إثبات الوحدانية للعزيز الرحيم، ذي الجلال والإكرام، والإنذار بيوم الجمع، الذي به - مع ستره عن العيان، الذي هو من خواص القلب - صلاح الخلق فهو قلب الأكوان، وبه الصلاح أو الفساد للإنسان، وعلى ذلك تنطبق معاني أسمائها: القلب، والدافعة، والقاضية، والمعِمَّة؛ لأن من اعتقد الرسالة كفته جميع مهمة، ودفعت عنه سائر ملمة، وقضت له بكل خير، وأعطته بكل كل مراد، وكل من هذا له أتم نظر إلى القلب، كما لا يخفى، والمعمة: الشاملة بالخير والبركة "[٣].

المثال الرابع: ما ذكره البقاعي –أيضا – في سورة آل عمران: "ومما يدل على أن القصد بها هو التوحيد تسميتها بآل عمران، والتوحيد موجب لزهرة المتحلي به؛ فلذلك سميت الزهراء"[٤]

المثال الخامس: يقول العلامة الطاهر بن عاشور متحدثا عن تسمية سورة البقرة: " إنها فسطاط القرآن، والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة "[٥].

---

(١) تفسير إرشاد العقل السليم : أبو السعود (٨/١)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الثانية ١٤١١هـ.
(٢) مصاعد النظر: (١٠٥/١)، نظم الدرر(٢/٦).
(٣) مصاعد النظر: البقاعي(٤٠٤/٢).
(٤) نظم الدرر: البقاعي (١٩٧/٤).
(٥) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٢٠١/١).

المثال السادس: ما ذكره العلامة الدكتور/ محمد محمود حجازي في سورة النحل: " هذه السورة تسمى سورة النحل، وتسمى سورة النعم؛ لما عدد الله فيها من النعم، وهي مكية على الصحيح، ويدور الكلام فيها حول ذكر النعم وبيان مظاهر القدرة، ونقاش المشركين في عقائدهم مع التعرض ليوم القيامة وما فيه "(١).

المطلب الثامن: الربط الدقيق بين القضايا الخاصة للسورة

كل سورة تشتمل على عدد من القضايا الخاصة، والمقصود بالقضايا الخاصة: تلك الموضوعات التي جاءت منثورة في السورة، وهذه القضايا لها وجه صلتها الوثيق فيما بينها في الترتيب والتركيب والملائمة، ويمكن التعرف على هدف السورة من خلال حصر هذه القضايا الخاصة وإيجاد القاسم المشترك الذي يجمع هذه القضايا، وهذا القاسم المشترك هو " هدف السورة العام " الذي تعد هذه القضايا بمثابة العناصر له، وقد شبهها بعض العلماء بالجداول الصغيرة التي تصب في مجرى النهر الأساس، أو الفروع التي تحيط بالأصل"(٢)، وبعد حصر القضايا الخاصة سيظهر تقسيما بديعا للسورة حيث تكون هناك مقدمة ثم قضايا السورة ثم خاتمة، وقد اعتمد كثير من العلماء على جمع هذه القضايا والربط بينها ربطا محكما لاستخراج الهدف العام الذى تنتظم به كل هذه القضايا .

ويرى الباحث أن هذا الأمر من أدق الأمور وأهمها في بيان هدف السورة، ذلك لأن الأصل الذى تبنى عليه السورة هو التناسب التام بين قضاياها، وهذا التناسب لا يتم إلا حيثما كانت هذه القضايا المتعددة تحت هدف عام يجمع شملها ويوحد بينها حتى تكون بمثابة عناصر أو جداول أو فروع لهذا الهدف، وبراعة المفسر تكمن في إيجاد الرابط الحقيقي أو القاسم المشترك بين هذه الموضوعات التي تبدو متناثرة.

ولذلك قرر الإمام الشاطبي هذا الأمر في كتابه القيم " الموافقات "، وأكد على أهمية النظر الدقيق في قضايا السورة الخاصة، وأنه سوف يظهر للمفسر بعدها تقسيمات خاصة للسورة فيكون فيها مقدمات وتمهيدات وموضوعات رئيسة ومؤكدات ومتممات ثم خواتيم ونهايات يقول –رحمه الله - " فاعتبار جهة النظم، مثلا، في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها، فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها: منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها

(١) التفسير الواضح: د/ محمد محمود حجازي(٢/٢٩٦).

(٢) المعجزة والرسول: د/ مصطفى مسلم (٤٣).

ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها: الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك. "[١].

وذكر ذلك البقاعي –أيضا- فقال: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة"[٢].

ويقول العلامة الدكتور دراز: " ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعاجله في خطوطها الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع، بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"[٣].

إن آثار إدراك المناسبات بين مقاطع السورة له دور كبير في التعرف على هدف السورة، وكذلك فإن معرفة الهدف في السورة يعين كثيرًا على معرفة المناسبات بين مقاطعها، فالأضواء منعكسة على بعضها من الجهتين، تنير السبيل أمام طالب هدف السورة ومحورها الرئيس[٤].

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره العلامة ابن القيم –رحمه الله- في بيان هدف سورة العنكبوت بعدما تأمل موضوعات السورة الواردة في فاتحتها ووسطها وخاتمتها في إشارة واضحة إلى أن الربط الدقيق بين قضايا السورة أحد الوسائل المهمة لتحديد هدفها، يقول ابن القيم: " فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان، وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل

(١) الموافقات الشاطبي (٤/٢٦٨).

(٢) نظم الدرر: البقاعي (١/١٨).

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن: د/ محمد عبد الله دراز (١٢٨)، طبعة: دار القلم – الكويت - الخامسة ١٤٢٤هـ.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي: د/ مصطفى مسلم (٤٦). طبعة: دار القلم – القاهرة- الرابعة ١٤٢٦هـ.

فاتحتها ووسطها وخاتمها، وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر"[١].

المثال الثاني: من أروع ما جاء في الربط بين قضايا السورة ما أورده العلامة الدكتور / محمد عبدالله دراز في كتابه القيم، الذى جعل الله له من اسمه نصيبا أي نصيب، إنه " النبأ العظيم "، وقد نظم عقد المعاني في سورة هي أطول سورة في القرآن، وأكثرها موضوعات وقضايا، وتتشعب فيها القضايا ما بين قصص وعقائد وتشريعات، لكنه وبقراءة متأنية، وطول تأمل وتدبر ربط بين هذه القضايا ربطا محكما يظهر وحدة السورة وتآلفها، يقول –رحمه الله-:"اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة على هذا الترتيب: "المقدمة" في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض، وأما "المقصد الأول": ففي دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام، و"المقصد الثاني": في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق، و"المقصد الثالث": في عرض شرائع هذا الدين تفصيلًا، و"المقصد الرابع": ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع وينهى عن مخالفتها، وأما "الخاتمة": ففي التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم"[٢].

المثال الثالث: ما ذكره الدكتور/ مصطفى مسلم في تفسيره لسورة النحل: " لقد تحدثت سورة النحل عن نعم الله الكثيرة الظاهرة والباطنة على الإنسان والنعم المادية والمعنوية، فابتدأ الله بنعمة الخلق والإيجاد وخلق الأنعام وتسخيرها وتذليلها لهم، وإنزال الماء من السماء لإنبات الأعشاب والأشجار والثمار، وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وتسخير البحر ومحتوياته، وترسيخه الأرض وتفجير الأنهار فيها.

ثم تتعرض السورة لموقف المشركين المنكرين لتوحيد الله المفترين على الله الكذب، والمكذبين للقرآن وتبين مصيرهم كسابقيهم إلى جهنم، وتتحدث عن مصير المؤمنين بالقرآن وترحيب الملائكة بهم في جنات النعيم، وتتحدث عن المخلوقات غير الثقلين كيف توحِّد الله وتسجد له، لكن كثيراً من الإنس يستكبرون عن توحيد الله وعبادته، وعلى الرغم من نعم الله على عباده التي لا تحصى يتخذون معه شركاء ويتصرفون تجاه بعض النعم بأسلوب سيّئ كتعاملهم مع الإناث عند بشارتهم بهن،

(١) شفاء العليل: ابن القيم (٢/٢٧٦)، طبعة: دار ابن حزم – بيروت - الثالثة ١٤٤١هـ.

(٢) النبأ العظيم: د/ محمد عبد الله دراز (١/١٩٧).

وتتعرض السورة لإنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها، والعبر العظيمة مما يخرج من بطون الأنعام من اللبن السائغ للشاربين، وما أنعم الله به من ثمرات النخيل والأعناب، وما سخر الله من النحل بجني الرحيق وإنتاج العسل.

ثم التذكير بنعمة الزوجية والبنين والحفدة، وتبين السورة ما أنعم الله به على عباده من السكن واتخاذ جلود الأنعام بيوتاً، وتذكر عاقبة الذين أنكروا هذه النعم كلها يوم القيامة يوم يبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، ثم يأتي الحديث عن النعمة العظمى على الإنسان بإنزال القرآن تبياناً لكل شيء، ثم تستعرض السورة موقف الجاحدين المنكرين للقرآن الكريم الذي يثيرون حوله الشبهات فهم المطبوع على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم وهم الخاسرون في الآخرة، ثم يفتح باب التوبة لمن أقلع عن الإنكار والتكذيب وأصلح نفسه ومعتقده وسلوكه فإن الله غفور رحيم، وتختم السورة بالأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن خلال هذا العرض السريع نستطيع أن نقول: إن محور السورة يدور حول إقامة الأدلة على توحيد الله تعالى من خلال النعم التي أنعم الله بها على عباده فهي في مجملها مستعرضة لأدلة العناية على توحيد الله"[١].

المثال الرابع: يقول الدكتور/ عبدالله شحاتة في سورة غافر، وقد وفق إلى ربط دقيق بين قضايا السورة بعدما حدد هدفها العام فذكر أنه " تصوير طبيعة الصراع بين الحق والباطل "، يقول – رحمه الله – " الروح الساري في سورة «غافر» هو الصراع الدائر بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والدعوة والتكذيب، وأخيرا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ المتجبّرين، وفي ثنايا أهداف السورة الأصلية نجد أنها تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم، وجو السورة كله، ومن ثمّ، كأنه جو معركة، وهي المعركة بين الإيمان والطغيان، بين الهدى والضلال، بين المتكبرين المتجبّرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل، وتتنسّم، خلال هذا الجو، نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين، ويتمثّل روح السورة في عرض مصارع الغابرين، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة، وهذه وتلك تتناثر في سياق السورة وتتكرر بشكل ظاهر، وتعرض في صورها العنيفة المرهوبة المخيفة، ومنذ بداية السورة إلى نهايتها نجد آيات تلمس القلب، وتهز الوجدان، وتعصف بكيان المكذبين، وقد ترق آيات السورة فتتحول إلى لمسات وإيقاعات تمس القلب برفق، وهي تعرض صفات

(١) المعجزة والرسول: د/ مصطفى مسلم(٣٢).

الله تعالى، غافر الذنب وقابل التوب، ثم تصف حملة العرش، وهم يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين ثم تعرض الآيات الكونية والآيات الكامنة في النفس البشرية"[١].

المثال الخامس: ذكر الشيخ سعيد حوى في تفسيره سورة الأعراف، يقول –رحمه الله -: " محور سورة الأعراف هو ضرورة اتباع هدى الله المنزل، وما أعد الله لمن اتبع هذا الهدى وما جزاء من خالفه، والسورة تتألف من ثلاثة أقسام، القسم الأول يتألف من مقدمة السورة ومقطع، والقسم الثاني يتألف من أربعة مقاطع، المقطع الأول في قصص أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، والتعقيب عليها، وثلاثة مقاطع كلها في بني إسرائيل، المقطع الأول: فيه قصة موسى مع فرعون، المقطع الثاني: فيه قصة موسى مع قومه، المقطع الثالث: في بني إسرائيل: ما فعل الله لهم وبهم، ويأتي بعد ذلك القسم الأخير من السورة وبدايته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[٢] من ثلاثة أقسام، والقسم الثالث يبدأ بالحديث عن أخذ الله العهد على بني آدم بالعبودية "[٣].

المثال السادس: في تفسيره الرائع المسمى " التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم " يتحدث الشيخ عبدالحميد طهماز عن سورة الأعراف فيوضح أن موضوعها الرئيس هو: "أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات"، وذكر أن قضايا السورة تتلخص في ثمانية فصول: الفصل الأول: التكليف الجماعي والمسئولية الفردية يوم القيامة، والفصل الثاني: قصة الوجود البشري الأول وصراعه المستمر مع الشيطان، والفصل الثالث: النداءات الإلهية لبنى آدم وما فيها من تقرير وتحذير، والفصل الرابع: بيان أن الخلق والأمر لله وحده واختلاف الناس في الاستعداد والقابلية، والفصل الخامس: صفحات من التاريخ، والفصل السادس: موسى وفرعون وبنو إسرائيل، والفصل السابع: بنو إسرائيل بعد الخروج من مصر، والفصل الثامن: العودة إلى مسرح الأحداث في مكة"[٤]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكثر التفاسير اهتماما بحصر قضايا السورة والربط بينها وبين هدفها العام:

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها: د/ عبد الله شحاتة (٣٤٢)، طبعة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة - الأولى ١٣٩٦هـ.

(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٢).

(٣) الأساس: سعيد حوي (٢٠٤٧/٤).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: عبد الحميد طهماز (٦/٣).

(١) **تفسير " الأساس " للشيخ سعيد حوي**، فقد بنى فكرة كتابه على عدة أسس، في مقدمتها حصر القضايا الخاصة للسورة ثم تقسيمها بعد ذلك إلى ما أسماه مقدمة ومقاطع وخاتمة، وقد سار علي هذا في تفسيره وطبق ذلك على جميع سور القرآن.

(٢) **كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" للشيخ عبدالحميد طهماز**، فقد كان يذكر في مقدمة تفسيره للسورة موضوع السورة ثم يذكر بدقة متناهية قضايا السورة فيما أسماه " فصولا "، وقد كان يقسم السورة إلى مجموعة من الآيات، وكل مجموعة تحت فصل خاص بها، ويختار لكل فصل عنوانا مناسبا، على نحو ما ذكرت من مثال سورة الأعراف.

المطلب التاسع : التمييز بين القضايا الخاصة الأصيلة والمعاني الفرعية

القضايا الأصيلة: هي المحاور الرئيسة داخل السورة، والتي يجمعها المفسر بدقة وينظمها في عقد واحد جامع لها وهو " الهدف العام السورة "، وهناك بعض المعاني الفرعية الجانبية التي يستدعي السياق ذكرها، وتأتي هذه المعاني على سبيل التتميم أو التفريع أو التنظير أو التأكيد، أو ترد لأي وجه آخر من وجوه الانتقال بين المعاني على عادة القرآن في التفنن والانتقال بالقارئ من فن إلى آخر، وهذه المعاني في واقع الأمر هي معان جانبية، لا تكون مقصودة أصالة في السورة على أنها من قضاياها وموضوعاتها الرئيسة .

وهذا أمر لابد من مراعاته عند تحديد هدف السورة؛ ذلك أن المعنى المراد أصالة، قد يغيب عند تتبع هذه المعاني الجانبية، التي تحتوى غالبا على بعض اللطائف البلاغية، أو النكات التعبيرية أو الملح التدبرية في وجوه التعبير المتنوعة، ولذلك راعى العلماء التمييز بين ما هو أصل وما هو تابع عند جمعهم لقضايا السورة الأصيلة، **ومن أمثلة ذلك:**

المثال الأول: ما ورد ابن عاشور في التحرير والتنوير في قوله –تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[١]، فقد ذكر ابن عاشور أن هذه الآية ليست من صلب قضايا السورة ولكنها استطراد واقع ضمن الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب، وقد سيقت هنا للتشنيع على مشركي مكة وبيان سوء تلقيهم دعوة الإسلام، يقول: إن قول الله –تعالى- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ عطف على ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[٢] باعتبار ما سبق

(١) سورة البقرة: آية رقم (١١٤).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١١٣).

ذلك من الآيات الدالة على أفانين أهل الكتاب في الجراءة وسوء المقالة أي إن قولهم هذا وما تقدمه ظلم ولا كظلم من منع مساجد الله وهذا استطراد واقع معترضا بين ذكر أحوال اليهود والنصارى لذكر مساوئ المشركين في سوء تلقيهم دعوة الإسلام الذي جاء لهديهم ونجاتهم"[١].

المثال الثاني: ما ذكره الدكتور/ مصطفى مسلم في حديثه عن سورة البروج، حيث يقول: " المحور الذي تدور عليه السورة: الصراع بين أهل الإيمان وأصحاب السلطة الطواغيت، وبيان أن النهاية لأهل الإيمان، وقد جاء ذكر فرعون وثمود في السياق للاستدلال بمصيرهم على أن الغلبة لجند الله -ﷻ- مهما تجبر الطغاة العتاة فإنهم لن يعجزوا الله، وأن المؤمنين هم المنصورون وأن دعوتهم هي الفائزة ولو ذهبت أنفس الدعاة قرابين لنصرتها"[٢].

ومن الأمثلة التي يمكن أن تساق في هذا المقام: "الحديث عن الجنة أو النار" في كثير من سور القرآن، فذكر الجنة والنار في بعض السور لا يكون من صلب قضايا السورة، ولكنه استطراد يستدعيه السياق ترغيبا في مأمور به، أو ترهيبا من فعل منهي عليه، على عادة القرآن في التذكير بالعاقبة وطلب التدبر في المآلات، والسبب في ذلك أن القرآن في أصله كتاب هداية وإرشاد، فكان لا بد من الاستطراد بذكر مثل هذه المعاني في لمحة خاطفة أو كالبرق الخاطف على حد تعبير الإمام السيوطي، حيث يقول –رحمه الله -: " وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضاً "[٣].

ففي سورة النساء –مثلا – في قول الله –تعالى- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾[٤] هذا معنى جانبي واستطراد يستلزمه السياق، فليس الحديث عن مصائر هؤلاء من صلب موضوعات سورة النساء، ولذلك جعلها العلامة ابن عاشور في حكم التذييل، يقول –رحمه الله -: " قوله –تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ تهديد ووعيد لجميع الكافرين، فهي أعم مما قبلها، فلها حكم التذييل "[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٦٧٨/١).

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم (٥٠).

(٣) الإتقان: السيوطي (٣٧٥/٣).

(٤) سورة النساء: آيتان رقم (٥٦-٥٧).

(٥) التحرير والتنوير: ابن عاشور(٨٩/٥).

وكذلك ذكر بعض القصص وأحوال الأمم عرضا على سبيل التحذير مما وقعوا فيه من مخالفات، واستحضار العبرة والعظة ، ومنه قول الله-تعالى- في سورة البقرة: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١] فهي استطراد قصد به التعجب من حال البشر في تسرعهم إلى الكفر، وتحذير لهذه الأمة من الوقوع في الكفر، مع التعريض بأهل الكتاب والتشنيع عليهم، فقد وقعوا فيما وقعت فيه الأمم السابقة، قال الطاهر بن عاشور في هذه الآية: " وهذا من بديع استطراد القرآن في توبيخ أهل الكتاب وخاصة اليهود، وهي طريقة عربية بليغة "[٢].

المطلب العاشر: الاستعانة ببعض السور في بيان أهداف بعض السور الأخرى

هناك قاعدة كبرى وضعها الإمام الشاطبي –رحمه الله – وأسس بها لهذا المعنى الدقيق، وذلك عند حديثه عن أهداف السورة المكية والسور المدنية، فذكر أنه يمكن التعرف على مقاصد السور المكية من خلال سورة الأنعام التي جاءت جامعة لكل مقاصد القرآن المكي إجمالا، ثم جاء التفصيل والبيان لتلك المقاصد في السور المكية الأخرى التي نزلت بعد سورة الأنعام، وكذلك سورة البقرة هي الوعاء الجامع لكل مقاصد القرآن المدني وأهدافه على جهة الإجمال، ثم جاء التفصيل والبيان لهذه الأهداف في السور المدنية الأخرى التي نزلت بعد سورة البقرة.

يقول –رحمه الله - : " نزلت سورة الأنعام مبينة لقواعد العقائد وأصول الدين من أول إثبات الربوبية إلى إثبات الإمامة، ثم لما هاجر رسول الله -ﷺ- إلى المدينة كان أول ما نزل سورة البقرة التي قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام، فبينت العبادات والعادات والمعاملات والجنايات وحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبنيا عليها، كما كان غير سورة الأنعام من السور المكية مبنيا عليها، وإذا نظرت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها كذلك حذو القذة بالقذة، فلا يغيبن عنك هذا المعنى فإنه من أسرار علوم التفسير "[٣].

وقد أشار الإمام السيوطي إلى هذه القضية ذاتها فقال –رحمه الله – في سورة الأنعام: "فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها، فظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها، وتقديمها على ما تقدم نزوله منها"[٤].

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢١٣).

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٣٠٩/٢)

(٣) الموافقات: الشاطبي(٢٥٦/٤).

(٤) تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي(٨٢).

وانطلاقا من هذه القاعدة استأنس بعض علمائنا عند بيانهم لهدف بعض السور بالنظر في سورتي البقرة والأنعام أو بالنظر في بعض السور الأخرى التي تجاورها.

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره العلامة البقاعي في تحديد هدف سورة " آل عمران "، وقد استأنس لهذا الهدف بما وجده من أهداف سورتي الفاتحة والبقرة، يقول –رحمه الله – " ومقصودها: التوحيد، وذلك أن الفاتحة - وهي أم القرآن - لما كانت جامعة للدِّين إجمالاً جاء ما به التفصيل، وهو القرآن، الذي هي أمه، محاذياً لذلك، فابتدأ بسورة الكتاب المحيط بأمر الدين، كما أن الفاتحة محيطة بأم القرآن، ثم بسورة التوحيد، الذي هو سر حرف الحمد، أول حروف الفاتحة السبعة، لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقوم بناء شيء من الدين بدونه، كما أن الفاتحة أس القرآن، وأيضاً: فلما ثبت بالبقرة أم الكتاب، في أنه هدى، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت هذه لإثبات أمر الدعوة الجامعة، في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]، فأثبت الوحدانية له سبحانه بإبطال إلهية غيره بإثبات أن عيسى عليه السلام - الذي كان يحيي الموتى – عبده، فغيره بطريق الأولى"[2].

المثال الثاني: ما ذكره العلامة ابن الزبير الغرناطي في حديثه عن هدف سورة البقرة في ضوء مجاورتها لسورة الفاتحة يقول –رحمه الله -: " فحصل من سورة البقرة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذا وتركا، وبيان شرف من أخذ به، وسوء حال من تنكب عنه وكأن العباد لما عُلِّموا (أن يقولوا) اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة قيل لهم عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثم - بين لهم حال من سلك ما طلبوه، فكان قد قيل لهم أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين من شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين من أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين من شأنهم وأمرهم[3].

المثال الثالث: ما ذكره العلامة البقاعي في بيان هدف سورة النجم مستأنسا في ذلك بما اشتملت عليه السور المجاورة لهذه السورة الكريمة يقول –رحمه الله -: " مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد إلى الدنيا التي هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإثماره الهدى في

(١) سورة البقرة: آية رقم(٢١).

(٢) مصاعد النظر: البقاعي (٦٧/٢).

(٣) البرهان في تناسب القرآن: ابن الزبير الغرناطي (١٩٤).

الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث على اتباع النبي-ﷺ-في نذارته التي بينتها سورة ق وصدقتها الذاريات وأوقعتها وعينتها الطور"[١].

المطلب الحادي عشر: الوقوف على فضائل السور

ورد عن النبي -ﷺ- أحاديث كثيرة في فضائل القرآن الكريم عامة، وفي فضائل بعض السور والآيات خاصة، وقد أفرد لها العلماء قديما وحديثا عددا لا يحصى من المؤلفات، فضلا عما تناثر وتفرق في المؤلفات الأخرى التي لم تُفرد لهذا الأمر، مثل أبواب فضائل القرآن في كتب السنة، ومؤلفات علوم القرآن، وبعض مقدمات كتب التفسير.

وقد جاء النص على فضائل السور والآيات على أربعة أوجه:

الأول: الوصف بلفظ " أعظم "، كما ورد في سورة الفاتحة، فعن أبي سعيد بن المعلى[٢] -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد». قال: ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته "[٣].

وكذا ورد هذا الوصف في آية الكرسي، فعن أبي بن كعب[٤] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر؛

(١) نظم الدرر: البقاعي (١٩/٤٠).

(٢) الصحابي الجليل أبو سعيد بن المعلى، اختلف في اسمه، فقيل اسمه رافع بن المعلى، وقيل الحارث، وقيل أوس، وأمه أميمة بنت قرط، من بني سلمة، له صحبة، وروى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حديثين، منها الحديث المذكور، توفي سنة أربع وسبعين، وهو ابن أربع وستين سنة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر (١/٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب (٤/١٦٢٣)، رقم الحديث (٤٢٠٤).

(٤) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن النجار الأنصاري، وكنيته: أبو المنذر وأبو الطفيل، كان من كتاب الوحي، وكان من الحفظة العظام حتى قيل عنه: سيّد القراء، وقال له: «إنّ اللّه أمرني أن أقرأ عليك»، وكان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها، وكان عمر يسمّيه سيد المسلمين، ويرجع إليه في المعضلات، مات أبيّ بن كعب سنة تسع عشرة، وقيل: عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين.

ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر (١/١٨١)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٥هـ.

أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[١]، قال: فضرب في صدري، وقال: (والله لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر)[٢].

الثاني: ذكر أنها تعدل قدرا من القرآن، كما صح في سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن، روى البخاري بسنده: " أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول اللَّه –ﷺ-، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله –ﷺ-: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن»[٣]، وورد بسند فيه ضعف أن سورة الزلزلة تعدل نصف القرآن، وسورة الكافرون تعدل ربع القرآن.

الثالث: أن من قرأها أو أخذها أعطي من الفضل أو الحفظ شيئا مخصوصا، كما صح عن النبي -ﷺ- في سورة الكهف والملك، فقد صح عن النبي –ﷺ– في سورة الكهف قوله: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال "[٤].

وكذلك ورد في سورة الملك قول النبي-ﷺ -: " إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها في القبر "[٥]

الرابع: أمر النبي -ﷺ- المسلمين بقراءتها وردًا ثابتا، أو مواظبته -ﷺ- على ذلك؛ كالمعوّذات والأعلى والكافرون والكهف والسجدة والإنسان والجمعة والمنافقون. فهذا ينطوي على فضيلة خاصة لتلك السور، وإلا لما خُصَّت ببعض المقامات والأحوال.

الخامس: اختصاصها بحال أو مقام دون غيرها، كنزولها جملة واحدة مثل سورة الأنعام.

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي(١/ ٥٥٦)، رقم الحديث (٨٠٩) طبعة: عيسى الحلبي – القاهرة - الأولى ١٣٧٤هـ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين رسول الله –صلى الله عليه وسلم - (٦/٢٤٤٩)، رقم الحديث (٦٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي(٢/١٩٩)، رقم الحديث (٢٥٧).

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب: الأدب، باب: ثواب القرآن (٤/٧٠٣)، رقم الحديث (٣٧٨٦). طبعة دار الرسالة العالمية - لبنان - الأولى ١٤٣٠. ورجال إسناده ثقات غير عباس الجشمي، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال الحافظ ابن حجر في "التقريب": مقبول، وأخرجه أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٣١١١)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٤٧٨) من طريق شعبة، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: حديث حسن.

وقد كان لهذه الفضائل الخاصة أثر في تحديد أهداف بعض السور، يقول البقاعي –رحمه الله: "طريقة السلوك في تحصيل مقصود السور جمع جميع فنون العلم، وأقل ما يكفي من كل علم مقدمة تعرف باصطلاح أهله، وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة، فكلما توغل الإنسان فيه، عظم حظه من هذا العلم، وكلما نقص نقص، فلذلك أذكر كثيراً من فضائل القرآن، ولا سيما ما له تعلق بفضائل السور، ليكون معيناً على المقصود"(١).

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: يقول العلامة الرازي –رحمه الله – في تفسيره لسورة الإخلاص " اشتهر في الأحاديث أن قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن، ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن "(٢).

المثال الثاني: ما ذكره العلامة ابن الزبير الغرناطي في سورتي الجمعة والمنافقون، حيث ألمح إلى أن هدف سورة الجمعة " بشارة المؤمنين "، بينما هدف سورة المنافقون " توبيخ المنافقين "، مستأنسا في ذلك بما ثبت من فضل السورتين حيث كان النبي –ﷺ – يقرأ بهما في صلاة الجمعة، قال –رحمه الله-: " كان رسول الله –ﷺ- يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، فأما سورة الجمعة فيبشر بها المؤمنين ويحرضهم، وأما سورة المنافقون فيؤيس بها المنافقين ويوبخهم"(٣).

المثال الثالث: ما ذكره البقاعي في سورة الأنعام من حيث اختصاصها بنزولها جملة واحدة: " نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح، وفي رواية: إن نزولها كان ليلاً، وإن الأرض كانت ترتج لنزولها، وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية وأهل الملل الزائغة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين، وإنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة، وأن تعلّمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح، ولنزولها ليلاً دليلٌ على غاية البركة، لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا، وعلى أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، أولو الألباب أهل الخلوات، والأرواح الغالبة على الأبدان وهم قليل"(٤).

---

(١) مصاعد النظر: البقاعي (١/١٥٥).

(٢) مفاتيح الغيب: الرازي(٣٢/٣٥٨).

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ابن الزبير الغرناطي(١٨٤).

(٤) نظم الدرر: البقاعي(٧/٢).

المثال الرابع: ما ذكره الإمام القرطبي- كذلك - في سورةِ الأنعامِ: " هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة"(١).

المثال الخامس: يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله- في سورتي الكافرون والإخلاص: " ملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله -ﷻ- رسوله، وإليهما دعت الرسل من أولهم إلى آخرهم: أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه، ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضى به رباً وإلاهاً ووليا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء، وقد جمع -ﷻ- هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ المتضمن للتوحيد العملي الإرادي، وسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري، فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبريء من عبادة كل ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ولهذا كان النبي يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيدا، وخاتمته توحيدا.(٢)

المطلب الثاني عشر: العلم بموقع السورة وترتيبها

لترتيب السورة في المصحف أثر في تحديد هدفها، ولعل هذا ما أشار إليه كثير من علمائنا عند بيان هدف سورة الفاتحة، فهي أول سورة في ترتيب المصحف، وقد كان لأوليتها هذه أثر في بيان هدفها، فهي في منزلة الديباجة أو المقدمة لباقي سور القرآن الكريم، وهذا ما تطابقت عليه أقوال كثير من المفسرين، ومن ذلك:

المثال الأول: يقول العلامة البيضاوي – رحمه الله – في مقدمة تفسيره لسورة الفاتحة: " هي سورة مكية وآيها سبع آيات وتسمى أم القرآن، لأنها مفتتحهُ ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه، ولذلك تسمى أساسا، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله ﷻ، والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده.

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(٣٨٣/٦).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية: ابن القيم (٥)، طبعة: دار عطاءات العلم –الرياض - الرابعة ١٤٤٠هـ.

أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء "[١].

والملاحظ هنا أن الإمام البيضاوي قد حدد هدف سورة الفاتحة في اشتمالها على جميع قضايا القرآن، وقد علل لذلك بقوله: " مفتتحه ومبدؤه "، فكان موقعها الترتيبي سبيلا لتحديد هدفها.

المثال الثاني: ما ذكره العلامة ابن عجيبة[٢] في تفسيره البحر المديد في تحديد هدف سورة الفاتحة –أيضا – بعبارة قريبة من عبارة العلامة البيضاوي، إذ يقول – رحمه الله -: " وهي أمّ القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه، أو لأنها اشتملت على ما فيه إجمالا على ما يأتى، وسورة الحمد والشكر، وسورة تعليم المسألة، وسورة الصلاة لتكريرها فيها، وأساس القرآن لأنها أصله ومبدؤه ويبنى سائره عليها "[٣]، فقوله: " اشتملت على ما فيه إجمالا " بيان لهدف السورة الكريمة، ولذلك كان تسميتها أم القرآن.

المثال الثالث: ما أورده الإمام ابن جزي صاحب التسهيل، في بيان هدف المعوذتين " الفلق والناس " انطلاقا من العلم بترتيبهما، فقد ختم بهما كتاب الله –تعالى-، يقول –رحمه الله – " فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله -ﷺ- قال فيهما: أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب: لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (٢٥/١)، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الأولى ١٤١٨.

(٢) العلامة المفسر النحوي الصوفي المغربي أحمد بن محمّد بن المهدي الحسني الأنجري، المعروف بابن عجيبة، ولد: سنة (١١٦٠ هـ)، ومن أشهر مصنفاته: ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله في التصوف، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وشرح على الآجرومية في النحو، وأزهار البستان في طبقات الأعيان، والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، توفي سنة (١٢٢٤ هـ) أربع وعشرين ومائتين. ينظر: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (١٦٣/٢)، ومعجم المفسرين: عادل نويهض(٧٧/١)، طبعة: مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت -الثالثة ١٤٠٩.

(٣) البحر المديد: ابن عجيبة (٥٢/١). طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٣هـ.

الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره"[١].

وفي ضوء ما ذكره ابن جزي يكون هدف المعوذتين:" الاستعاذة بالله من الحسد وشروره عند حصول النعم "، والنعمة الحاصلة هنا هي ختام القرآن واكتمال نزوله.

المثال الرابع: ما ذكره البقاعي في هدف سورة الحجرات، وقد انطلق في تحديد الهدف من خلال موقع السورة وهو كونها " أول المفصل "، يقول –رحمه الله -: " مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي –ﷺ - بالأدب معه في نفسه وفي أمته، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان بالله يشترط فيه فعل الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون بينة على الباطن وحجة شاهدة له، فحاصل مقصودها مراقبة النبي في الأدب معه؛ لأنها أول المفصل الذي هو ملخص القرآن كما كان مقصود الفاتحة التي هي أول القرآن مراقبة الله"[٢]

المطلب الثالث عشر: إدراك دلالات تكرار الألفاظ والآيات

المقصود بتكرار الألفاظ والآيات: استخدام اللفظ الواحد أو الآية الواحدة عدة مرات في ثنايا السورة، وكثيرا ما جاء هذا النوع من التكرار في القرآن، وقد جاء على وجهين: موصول، ومفصول.

أما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة: إما تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله –تعالى-: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [٣]، وإما في آخر الآية وأول التي بعدها، مثل قوله –تعالى-: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [٤]، وإما في أواخرها، مثل قوله –تعالى-: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [٥]، وإما تكرار الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله –تعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [٦].

وأما المفصول: فيأتي على صورتين: إما تكرار في السورة نفسها، وإما تكرار في القرآن كله، ومثال التكرار في السورة نفسها: تكرار اسم " الرحمن " في سورة مريم اثنتي عشرة مرة، وتكرار قوله –تعالى-: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ في سورة " الشعراء " ثماني مرات، وتكرار قوله –تعالى-: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي (٢/٥٣٠)، طبعة: دار الأرقم –بيروت – الأولى ١٤١٦هـ.
(٢) نظم الدرر: البقاعي(١٨/٣٥٠).
(٣) سورة المؤمنون: آية رقم (٣٦)
(٤) سورة الإنسان: آيتان رقم (١٥-١٦)
(٥) سورة الفجر: آية رقم (٢١)
(٦) سورة الشرح: آيتان رقم (٥-٦)

لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ في سورة " المرسلات " عشر مرات، وتكرر قوله –تعالى-: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ في سورة " الرحمن " إحدى وثلاثين مرة.

ومثال التكرار في القرآن كله: تكرار قوله –تعالى-: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ست مرات، وتكرار قوله –تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ مرتين.

ومعلوم أن التكرار في القرآن له فوائد جمة وحكم عظمى، فليس عبثا أن تكرر هذه الألفاظ والآيات ، وهذا ما جعل العلماء يتلمسون أوجه الحكمة من هذا التكرار للألفاظ والآيات، وكان من أعظم وجوه الحكم وجود مناسبة ما بين تكرار هذه الألفاظ وأهداف السور، ففي تكرار هذه الألفاظ والآيات إشارة إلى هدف السورة ومحورها العام، لتضاف هذه الحكمة الكبرى إلى جملة ما ذكره علماؤنا من حكم وأسرار التكرار في القرآن، يقول الإمام الفراهي: " وإذا صرف التوجه لاستخراج العمود والنظام لزم إمعان النظر في دلالات الكلمات والسياق"[١] وسوف أذكر بعض الأمثلة على مستوى الألفاظ، وعلى مستوى الآيات.

أولا: على مستوى الألفاظ:

المثال الأول: ما ذكره العلامة البقاعي في مقصود سورة مريم مستدلا على ذلك بتكرار اسم " الرحمن " في هذه السورة الكريمة، حيث قال – رحمه الله –" مقصود سورة مريم -عليها السلام-: شمول الرحمة، وقد كرر الوصف بالرحمن وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى في أثناء السورة تكريراً يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها، فسبحان من هذا كلامه، وعز شأنه، وعلا مرامه"[٢].

وقد تكررت كلمة رحمة واسم الرحمن في السورة الكريمة ست عشرة مرة، فجاءت كلمة رحمة أربع مرات مضافة إلى الله –تعالى- كما جاءت كلمة الرحمن في اثنتي عشرة موضعا مما يؤكد أن هدف السورة هو الحديث عن الرحمة مع ما بث في السورة من مشاهد ومواقف وأحداث تؤكد على معنى الرحمة الإلهية التي تشمل الكون وتعمه "[٣].

(١) دلائل النظام: الفراهي(٨٠).

(٢) مصاعد النظر: البقاعي (١٥٣/١).

(٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٥٩/١٦).

المثال الثاني: ما ذكره الإمام ابن تيمية في سورة الأنبياء، فقد ذكر أنها سورة " الذكر "[١]، واستدل على ذلك بتكرار كلمة الذكر في السورة الكريمة، وقد تكررت هذه الكلمة ومشتقاتها اثنتي عشرة مرة، يقول –رحمه الله –" سورة الأنبياء " هي سورة الذكر، وهي سورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر افتتحها بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾[٢] وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[٣] وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾[٤] وقوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾[٥] وقوله: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾[٦] وقوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢﴾[٧] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾[٨] وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾[٩].

المثال الثالث: ما أورده البقاعي في سورة المجادلة "مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله ورسوله؛ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه آية "[١٠].

المثال الرابع: ما ذكره الشيخ الغزالي –رحمه الله – من تكرار لفظ " التقوى " في سورة البقرة، يقول –رحمه الله: "وخلال المتقين التي أحصتها سورة البقرة كثيرة، فقد تكررت مادة التقوى خلال السورة بضعا وثلاثين مرة، لا تشبهها في ذلك سورة أخرى، والتقوى هي الصفة الجامعة التي طلبت من

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٢٦٥/١٥).
(٢) سورة الأنبياء: آية رقم (٢).
(٣) سورة الأنبياء: آية رقم (٧).
(٤) سورة الأنبياء: آية رقم (١٠).
(٥) سورة الأنبياء: آية رقم (٢٤).
(٦) سورة الأنبياء: آية رقم (٣٦).
(٧) سورة الأنبياء: آية رقم (٤٢).
(٨) سورة الأنبياء: آية رقم (٤٨).
(٩) سورة الأنبياء: آية رقم (١٠٥).
(١٠) نظم الدرر: البقاعي (٣٣١/١٩).

سائر الأمم في شتى الرسالات"[١]، ويفهم من كلام الشيخ هنا أن مقصود السورة: "الحديث عن التقوى".

ومما يمكن أن يذكر هنا – أيضا- " سورة الجاثية، فقد تكرر في هذه السورة لفظ " آيات" اثنتي عشرة مرة، بل إنه جاء ذكرها خمس مرات في صدر السورة من الآية الثالثة إلى الآية السادسة، وتكررت في الآية السادسة مرتين، يقول الله –تعالى- : ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾[٢].

مما يدل دلالة واضحة على أن هدف هذه السورة الكريمة يدور حول ذكر الآيات الكونية الدالة على طلاقة قدرة الحق –سبحانه – في الخلق والتكوين.

ثانيا: على مستوى الآيات:

المثال الأول: ما ذكره العلامة الرازي في هدف سورة الرحمن وحكمة تكرار قوله –تعالى- (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، حيث قال –رحمه الله – " وذكر في السورة: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة"[٣]..

فقد عدّد الحق –ﷻ- في هذه السورة نعماءه، وذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خلّة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، ليفهّمهم النّعم ويقرّرهم بها.

المثال الثاني: ذكر الشيخ المراغي- أيضا - أن موضوع سورة الرحمن (تعديد نعم الله على خلقه) ثم أخذ يربط بين هدف السورة وتكرار هذه الآية فيها، فقال –رحمه الله - "ولما كانت هذه السورة لتعديد نعمه التي أنعم بها على عباده، قدّم النعمة التي هي أجلّها قدرا وأكثرها نفعا، وأتمها فائدة، وهي نعمة تعليم القرآن الكريم، فباتباعه تكون سعادة الدارين، وبالسير على نهجه تنال الرغائب فيهما وهو سنام الكتب السماوية، وقد نزل على خير البرية، وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ أي: فبأي النعم المتقدمة يا معشر الثقلين من الجن والإنس تكذبان؟

(١) نحو تفسير موضوعي: الشيخ محمد الغزالي (٤٩٥).

(٢) سورة الجاثية: الآيات رقم (٣-٦).

(٣) مفاتيح الغيب: الرازي(٢٩/٣٣٥).

والتعبير (بالرب) للإشارة إلى أنها نعم صادرة من المالك المربّى لهما الذي ينميهما أجساما وعقولا، فهو الحقيق بالحمد والشكر على ما أولى وأنعم، والعبادة له دون سواه، وقد كررت هذه الآية في واحد وثلاثين موضعا من السورة تقريرا للنعمة، وتأكيدا للتذكير بها، فتراه عدّد نعمه على الخلق وفصل بين كل نعمتين بما يذكرهم ويقررهم بها، وهذا أسلوب كثير الاستعمال في كلام العرب، فترى الرجل يقول لمن أحسن إليه بنعمة وهو يكفر بها: ألم تكن فقيرا فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانا فكسوتك؟ أفتنكر هذا، ألم تكن خاملا فرفعت قدرك، أفتنكر هذا؟ فكأنه سبحانه قال: ألم أخلق الإنسان؟ وأعلمه البيان؟ وأجعل الشمس والقمر بحسبان؟ وأنوّع الشجر؟ وأبدع الثمر؟ وأعممها في البدو والحضر؟ لمن آمن بي وكفر، وأسقيها حينا بالمطر؟ وآونة بالجداول والنّهر؟ أفتنكران ذلك أيها الإنس والجن؟"[١].

المثال الثالث: ويقول الشيخ/ محمد محمود حجازي في تكرار قوله –تعالى- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ في سورة المرسلات: " وهذه الجملة كررت هنا عشر مرات لأن السورة تضمنت ذكر نعم ونقم، فكان إذا ذكرهم الله بنعمة أو خوفهم من نقمة أكد التذكير أو التخويف بذكر الهلاك والثبور المعد للمكذبين يوم القيامة ردعا لهم عن الغفلة وحثا لهم على التصديق وعمل الخير"[٢].

المطلب الرابع عشر: التدبر في تكرار المعاني

هذا نوع آخر من أنوع التكرار في القرآن الكريم، وهو ما كان تكرارا للمعنى، ويقصد به: تكرار الحديث عن معنى بعينه في السورة وتناوله بأساليب متعددة وبصيغ مختلفة، وقد فطن بعض علمائنا لهذه اللمحة القرآنية البديعة فأخذوا يربطون بين هذا المعنى المتكرر وهدف السورة، وكأن السورة تلمح إلى هدفها وتشير إليه من خلال التأكيد على هذا المعنى تحديدا بتكرار ذكره دون غيره.. ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره ابن القيم في سورة النحل، وقد لاحظ فيها تكرار معنى "ثبوت الأجر في الدنيا والآخرة لمن عمل صالحا"، واستدل به على هدف السورة، يقول –رحمه الله – " وقد دل القرآن في غير موضع على أن لكل من عمل خيرًا أجرين: عمله في الدنيا ويكمل له أجره في الآخرة، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) تفسير المراغي: الشيخ المراغي (١٠٩/٢٧). طبعة: مصطفى البابي الحلبي –مصر – الأولى ١٣٦٥هـ.
(٢) التفسير الواضح: محمد محمود حجازي(٨٠٥/٣).
(٣) سورة النحل: آية رقم (٣٠).

هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِمَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[١]، وقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[٢]، وقال فيها عن خليله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[٣]، فقد تكرر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسر بديع، فإنها "سورة النعم" التي عدد اللَّه سبحانه فيها أصول النعم وفروعها، فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعمًا أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية"[٤].

المثال الثاني: يقول الإمام السيوطي في سورة " الأنعام ": " لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك، أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشئ، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي، والملكي والشيطاني، والحيواني والنباتي، وما تضمنته من الوصايا، فكلها متعلقة بالمعاش والقوام الدنيوي، ثم أشار إلى أشراط الساعة والبعث، فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها"[٥]

وهنا ذكر الإمام السيوطي أن هدف السورة " بيان الخلق والملك "، ثم استدل على ذلك بما لاحظه في السورة من تكرار الحديث عن مظاهر ربوبية الحق –سبحانه- الذي له الخلق والملك، وحقا فإن السورة مشحونة بآيات الله الباهرات في الخلق والتكوين.

المثال الثالث: ما أورده العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير في سورة "الرعد": " أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول -ﷺ- فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين فلذلك تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءا ونهاية ".[٦]

المثال الرابع: في تفسيره لسورة الأنفال يقول العلامة د/ مصطفى مسلم : " تكرر الحديث عن الرسالة والرسول والمعجزة في سورة الفرقان بأساليب متنوعة عرضا وبيانا ورد شبهات، لأن المحور الأساس للسورة هو تصديق رسول الله-ﷺ – من خلال معجزة القرآن الكريم "[٧]

---

(١) سورة النحل: آية رقم (٤١).

(٢) سورة النحل: آية رقم (٩٧).

(٣) سورة النحل: آية رقم (١٢٢).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم (٤٣٨/٣).

(٥) تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي(٨٤)، طبعة: دار الفضيلة – القاهرة / الأولى ١٤٢٢هـ.

(٦) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٧٥/١٣).

(٧) المعجزة والرسول: مصطفى مسلم (٧٤).

المطلب الخامس عشر: النظر في القصة القرآنية الواردة في السورة

لقد شغلت القصة القرآنية حيزا كبيرا من كتاب الله – تعالى -، وفي كل مرة تأتي القصة أو جزء منها لخدمة هدف السورة، وتأتي في السياق بما ينسجم مع محورها الرئيس، وبما يشكل في النهاية عرضا كاملا للقصة من كل جوانبها دون أن يخل هذا بوحدة السورة القرآنية، وبما يحقق المظهر الأعلى من التكامل القرآني، وكل ذلك يبرز مدى الكمال في القرآن.

يقول العلامة البقاعي رحمه الله: " كل سورة ذكرت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذى سيقت به في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل "(١).

ويقول – أيضا – في سر اختصاص سورة آل عمران بالحديث عن السيدة مريم في هذا الجانب المخصوص من حياتها المتعلق بميلادها وتقبلها بقبول حسن وكفالة زكريا لها : " وقد أنبأ -ﷻ- في هذه السورة الخاصة بقصة مريم -عليها الصلاة والسلام- من تقبلها وإنباتها وحسن سيرتها بما نفي اللبس في أمرها وأمر ولدها، لأن المخصوص بمنزل هذه السورة ما هو في بيان رفع اللبس الذي ضل به النصارى، فيذكر في كل سورة ما هو الأليق والأولى بمخصوص منزلها، فلذلك ينقص الخطاب في القصة الواحدة في سورة ما يستوفيه في سورة أخرى؛ لاختلاف مخصوص منزلها، كذلك الحال في القصص المتكررة في القرآن من قصص الأنبياء وما ذكر فيه لمقصد الترغيب والتثبيت والتحذير وغير ذلك من وجوه التنبيه"(٢)، وقد توجهت أنظار كثير من العلماء نحو القصة الواردة في السورة الكريمة للوصول إلى هدفها العام، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

المثال الأول: في مقدمة تفسيره لسورة المائدة ذكر العلامة البقاعي: " مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق شكراً لنعمه واستدفاعاً لِنقمهِ، وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها أن من زاغ عن الطمأنينة بعد الكشف الشافي والإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه العذاب، وتسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها وكذا الأحبار"(٣).

المثال الثاني: ذكر العلامة البقاعي في النظم في مستهل حديثه عن تفسير سورة "الأنفال:" ومقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين وإذلال المفسدين المنتج لكل خير، والجامع لذلك كله أنه لما ثبت بالسور الماضية

(١) نظم الدرر: البقاعي (١٤/١).
(٢) المرجع السابق: (٣٥٧/٤).
(٣) المرجع نفسه: (٢/٦).

وجوب اتباع أمر الإله والاجتماع عليه لما ثبت من تفرده واقتداره، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعي إليه بغاية الإذعان والتسليم والرضى والتبرؤ من كل حول وقوة إلى من أنعم بذلك ولو شاء سلبه، وأدل ما فيها على هذا قصة الأنفال التي اختلفوا في أمرها وتنازعوا قسمها فمنعهم الله منها وكف عنهم حظوظ الأنفس وألزمهم الإخبات والتواضع "[١].

المثال الثالث: قوله –أيضا- في سورة الأنبياء:" مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه، والدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا بجميع ذلك كما سنبين، ولا يخلو قصة من قصصهم من دلالة على شيء من ذلك فنسبت إلى الكل "[٢].

المثال الرابع: ما ذكره الشيخ / محمد محمود حجازي في تفسيره سورة العنكبوت: " وعلى العموم فإنها تدور حول بيان حقيقة الإيمان، وما يصادف المؤمنين من فتن تصهرهم وتقوى روحهم ومع ذلك فالنصر للإيمان، وقد جاء القصص مؤيدا لذلك مع ضرب المثل لقوة الكفار وآلهتهم، ونتيجة الجهاد في سبيل الله"[٣]

ومن الأمثلة المهمة التي يمكن أن تساق هنا: قصة البقرة التي ذكرت في سورة البقرة، فهذه القصة دالة على موقف بني إسرائيل من أوامر الله، وتعنتهم وتمنعهم من تلقي أمر الله –تعالى-، وهذا في غاية المناسبة لسورة البقرة التي تضمنت تربية المؤمنين على تلقي شريعة الله بالاستجابة والامتثال المطلق، ولذلك تضمنت السورة كليات الشريعة وأصولها، فكأن الاسم شعار للمؤمنين ليحذروا من التشبه بأصحاب البقرة، قال الإمام الزركشي: ": وتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها "[٤].

المطلب السادس عشر: الوقوف على سبب النزول

معرفة سبب النزول من آكد الأمور التي يحتاج إلى معرفتها لفهم القرآن وتفسيره تفسيرا صحيحا، وكذا للوقوف على كثير من أسرار القرآن، يقول صاحب الموافقات عن فوائد هذا العلم: " معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

---

(١) نظم الدرر: (٢١٥/٨)

(٢) نظم الدرر: البقاعي (٣٧٨/١٢).

(٣) التفسير الواضح: محمد محمود حجازي (٨٥٤/٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي (٢٧٠/١).

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد الكلام إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال فحال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك.

والوجه الثاني: هو أن الجهل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[١].

ولهذا العلم أهمية كبرى في التعرف على هدف السورة ، لأن سبب النزول كاشف عن هدف السورة الذى نزلت من أجله، وقد أكد على هذا المعنى العلامة ابن عاشور عندما كان يعدد فوائد العلم بأسباب النزول، فقال –رحمه الله – : "ومنها: ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام "[٢].

ومن أوجه تصوير مقام الكلام معرفة هدف السورة ومقصودها، ولذلك اعتمد بعض العلماء في تحديد الهدف على النظر في سبب النزول، ومن ذلك:

المثال الأول: ما جاء في تفسير البقاعي عند حديثه عن هدف سورة الحشر، وقد استأنس لذلك واستدل عليه من خلال سبب نزول السورة، وأنها نزلت في بنى النضير، يقول – رحمه الله -: "مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص بإثبات القدرة الشاملة بدليل شهودي على أنه يغلب هو ورسله، ومن حاده في الأذلين، لأنه قوي عزيز، وأدل ما فيها على ذلك تأمل قصة بني النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر الحقيقي بالقدرة عليه بعد إطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون، فلذا سميت الحشر وببني النضير لأنه ﷻ حشرهم بقدرته من المدينة الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر لقهر هذا النبي الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم أفضل الناس"[٣]

المثال الثاني: ذكر العلامة ابن عاشور في سورة الحشر أيضا أن غرضها الحديث عن أموال بنى النضير بعدما ذكر أن سبب نزولها كان فيهم، يقول –رحمه الله -: "وقع الاتفاق على أنها نزلت في شأن بني النضير ويظهر أن المقصد منها حكم أموال بني النضير بعد الانتصار عليهم"[٤].

---

(١) الموافقات: الشاطبي (١٤٦/٤).

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٢٤/١).

(٣) نظم الدرر: البقاعي (٤٠٢/١٩).

(٤) التحرير والتنوير: ابن عاشور(٦٣/٢٨).

المثال الثالث: تحدث ابن عاشور عن هدف سورة التحريم، فقال –رحمه الله -:" وأغراض هذه السورة ما تضمنه سبب نزولها أن أحدا لا يحرم على نفسه ما أحل الله له لإرضاء أحد؛ إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه "[١].

المطلب السابع عشر: فهم مقاصد القرآن

إن العلم بمقاصد القرآن من أهم القضايا القرآنية التي ينبغي أن تحظى بمزيد من العناية والاهتمام، لأن إدراك هذه المقاصد من شأنه أن يحدد طرق التعامل مع القرآن على مختلف المستويات، وفي مقدمتها التعامل معه من جهة إبراز معانيه، وإظهار أسراره التي تنطوي تحت المفردات، وتراكيب الآيات وترتيبها، وكذلك من جهة تحديد أهداف السور ومقاصدها في ضوء تلك المقاصد الكبرى للقرآن الكريم، لأن السور تتجلى فيها مقاصد القرآن وغاياته.

ومن أنفس ما قيل في الربط بين مقاصد القرآن وسوره ما ذكره الإمام الغزالي –رحمه الله – في جواهر القرآن: " سر القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصده الأقصى، "دعوة العباد إلى الجبار الأعلى"، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة،، وثلاثة: هي الروادف والتوابع المغنية المتمة، أما الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، وأما الثلاثة المغنية المتمة: فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمعِ الله لهم وتنكيله لهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب، وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير، وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد، فهذه ستة أقسام"[٢] ثم جمع مقاصد القرآن الستة مع ما يندرج تحتها من موضوعات فرعية وقضايا جزئية، فخلص إلى أنها "عشرة أنواع "، وذكر أن هذا ما تنطوي عليه سور الذكر الحكيم، يقول –رحمه الله -: " وإن جمعت الأقسام [الستة المذكورة] مع شعبها المقصودة في سلك واحد ألفيتها عشرة أنواع: ذكر الذات، وذكر الصفات؛ وذكر الأفعال؛ وذكر المعاد؛ وذكر الصراط المستقيم، أعني جانبي التزكية

(١) المرجع السابق:(٣٤٥/٢٨).

(٢) جواهر القرآن: الغزالي (٢٤). طبعة:دار إحياء العلوم –بيروت - الثانية ١٤٠٦هـ

والتحلية؛ وذكر أحوال الأولياء؛ وذكر أحوال الأعداء، وذكر محاجة الكفار؛ وذكر حدود الأحكام، وهذه مجامع ما تنطوي عليه سور القرآن وآياتها. "[١]

ويتأسس على هذه الفريدة من فرائد العلم ما يأتي:

١- تحديد هدف السورة في ضوء ما ذكره الإمام الغزالي تحت هذه الأنواع، وهو تحديد فيه من الدقة والضبط ما فيه، وذلك لاندراجه تحت مقاصد القرآن الكبرى.

٢- بيان موقع كل سورة من تحقيق مقاصد القرآن، أقصد بيان كونها من سور تحقيق "السوابق أو الروادف" على حد قول الإمام الغزالي.

ولأهمية مقاصد القرآن في بيان مقاصد السور عني كثير من علمائنا بالربط بين مقصود السورة ومقاصد القرآن، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: ما ذكره العلامة السيوطي في اشتمال سورة الفاتحة على مقاصد القرآن: " العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة: علم الأصول، ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم، ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة بالذين أنعمت عليهم، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بمالك يوم الدين، وعلم العبادات، وإليه الإشارة بقوله: " إياك نعبد "، وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بقوله "إياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم"، وعلم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن"[٢].

(١) التحرير والتنوير: (٣٤).

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي (٦١/١)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤٠٨هـ.

المثال الثاني: في محاسن التأويل للإمام القاسمي[١] نجد اهتماما بالغا بالربط بين مقاصد القرآن وهدف السورة الذي يشير إليه الإمام القاسمي في طيات حديثه عن سر التسمية، وينقل في بيان مقاصد القرآن عن الإمام المهايمي[٢].

يقول القاسمي –رحمه الله – في سورة الأنفال: " قال المهايمي: سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الإيمان بالله، من الأمن الكليّ عن الأعداء، والإغناء الكليّ عن الأشياء، والكرامات العجيبة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[٣].

المثال الثالث : ويقول القاسمي – أيضا - في سورة لقمان: "سورة لقمان سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة. والنهي عن الذميمة، وهذا من أعظم مقاصد القرآن، قاله المهايميّ"[٤].

المطلب الثامن عشر: الوقوف على الروايات الواردة في بيان هدف السورة

هذه الوسيلة من أضبط الوسائل وأوفقها، لأنها بيان عن النبي –ﷺ – وأصحابه والتابعين، وهؤلاء هم أكمل الخلق فهما للقرآن وأتمهم علما، وقد ذكر كثير من المفسرين هذه المرويات في إشارة منهم إلى هدف السورة، غير أنهم لم يذكروا ذلك صراحة، وغالب ما ورد عن السلف هنا يكون بهذه الصيغة : "هذه السورة نزلت في كذا" ، وهذه العبارة من الصيغ التي تحتمل أن تكون بيانا لسبب النزول، وتحتمل أن تكون شرحا وتفسيرا مجملا للسورة يدل غالبا بمفهومه على هدف السورة ، وكثير من هذه الروايات تكون في المفصل؛ لأن المفصل لم تتعدد قضاياه الخاصة بل غالبا نزل في قضية واحدة فقط، هي هدف السورة.

---

(١) هو العلامة جمال الدين القاسمي محمّد بن محمّد سعيد بن قاسم، من سلالة الحسين السبط، ولد: سنة (١٢٨٣ هـ)، ومن مشايخه: الشيخ أحمد الحلواني، والشيخ سليم العطار وغيرهما، ومن تلامذته: الشيخ محمّد جميل الشطي، والشيخ محمَّد بهجة البيطار وغيرهما، ومن مصنفاته: تفسيره المسمى " محاسن التأويل "، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ودلائل التوحيد، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ. ينظر: الأعلام: الزركلي (١٣٥/٢).

(٢) هو العلامة علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المهايمي الهندي، المعروف بالمخدوم، أبو الحسن علاء الدين الدَّكَني الحنفي،

ولد سنة (٧٧٦ هـ)، ومن مصنفاته: "تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن"، و"خصوص النعم في شرح فصوص الحكم" لابن عربي، وفاته: سنة (٨٣٥ هـ). ينظر: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة (٣٩٠/٢).

(٣) محاسن التأويل: القاسمي (٣/٧). طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت -الأولى ١٤١٨هـ.

(٤) محاسن التأويل: (٢٤/٨).

ومن أمثلة ذلك :

المثال الأول: ما رواه الترمذي[١] بسنده من حديث عن ابن عمر[٢] –ﷺ- أنه قال: قال رسول الله –ﷺ-: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾[٣]. وواضح من هذه الرواية أن مقصود هذه السور " الحديث عن يوم القيامة وما فيه من أهوال جسام ".

المثال الثاني: ما ورد عن ابن عباس –ﷺ – في سورة " الليل "، حيث قال: " إني لأقول إن هذه السورة نزلت في السماحة والبخل"[٤]، وبالتأمل في السورة نجدها حقا "سورة السماحة والبخل " فقد ذكر الله فيها أكمل صفات أهل الإيمان، وهي السماحة والكرم، وذكر بعدها أسوأ صفات أهل الكفر والضلال، وهي الشح والبخل ، ولذلك ذكرت السورة الكريمة نموذجا رائعا من نماذج السماحة والكرم وهو الصديق أبو بكر –ﷺ-، وفي المقابل ذكرت نموذجا من نماذج البخل والشح وهو أمية بن خلف، ففيهما نزلت السورة الكريمة"[٥].

يقول الإمام الرازي –رحمه الله -: " نزلت هذه السورة في أبي بكر وإنفاقه على المسلمين، وفي أمية بن خلف وبخله وكفره بالله"[٦]

وقد أورد العلامة الدكتور / محمد سيد طنطاوي –رحمه الله - هذه الرواية في سورة الليل ثم علق عليها بقوله: "وحقا ما قاله ابن عباس- رضى الله عنهما-، فإن السورة الكريمة، قد احتوت على

---

(١) هو الإمام سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشر الأزدي ولد سنة ٢٠٢ هـ إمام الحديث في عصره رحل كثيراً في طلب الحديث وحدث عنه الترمذي والنسائي وابنه أبو بكر وله "السنن" وهو أحد الكتب الستة وكتاب الزهد وقيل عنه لين له الحديث كما لين لداود الحديد وتوفى سنة ٢٦٥ بالبصرة. تذكرة الحفاظ: الذهبي(٥٩١/٢).

(٢) هو الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كانت ولادته في مكة في السنة الثالثة من البعثة، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهو أحد المكثرين في رواية الحديث عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وكان شديد التأسي برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، ويحرص أشدّ الحرص على اتّباعه وتقفّي أثره، ومات سنة ٧٣هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير (٣٣٦/٣) طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: التفسير، باب: من سورة إذا الشمس كورت (٣٥٨/٥)، رقم الحديث (٣٣٣٣) وصححه الحاكم في مستدركه (٧٢٢/٤).

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي (٥٣٣/٨)، طبعة: دار الفكر –بيروت، الأولى ١٤٣٢هـ.

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: عبد الحميد طهماز (١٥/١).

(٦) مفاتيح الغيب: الرازي (١٨١/٣١).

بيان شرف المؤمنين، وفضائل أعمالهم، ومذمة المشركين، وسوء فعالهم، وأنه- تعالى- قد أرسل رسوله للتذكير بالحق ولإنذار المخالفين عن أمره- تعالى- أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"[١].

المثال الثالث: ما ورد عن عمرو بن دينار[٢] في سورة التكاثر كما جاء في تفسير القرطبي: " أن عمرو بن دينار حلف أن هذه السورة نزلت في التجار "[٣].

المبحث الرابع
وسائل أخرى لبيان الهدف العام

وهذا مما يسر الله –تعالى- إليه وهدى للوقوف عليه من خلال معايشتي لهذا الموضوع، فقد أكرمني الله بالوقوف على بعض الوسائل الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها في تحديد أهداف السور، وذلك انطلاقا من إيمان عميق وعقيدة راسخة أن كل كلمة في كتاب الله بل كل حرف وضع لحكمة بالغة، ولا زالت عطاءات القرآن تتجدد، وستظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هذه الوسائل التي وقف عليها الباحث :

أولا: التأمل في الفرائد القرآنية:

ويقصد بالفرائد القرآنية: تلك الألفاظ التي وردت في سورة بعينها ولم تذكر في غيرها، فهي قد ذكرت في القرآن كله مرة واحدة ولم يتكرر ذكرها، في أي صورة من صورها اللفظية ومشتقاتها اللغوية[٤]، وقد بحث علماؤنا هذه الفرائد، والتمسوا في ذكرها حكما بلاغية ودلالية وتفسيرية، ومعظم هذه الدراسات يندرج تحت ما يمكن أن نسميه " أسرار التعبير القرآني "، المتعلق بأسباب اختيار هذه الكلمة في سياقها دون استخدام ألفاظ أخرى، غير أنه يمكن أن يضاف إلى ما ذكر من أوجه الحكم والأسرار في إيراد هذه الفرائد " علاقة هذه الفرائد بهدف السورة "، وبالتأمل في هذه الفرائد يمكن أن نستنبط منها ما يدل على الهدف العام في بعض السور، وقد نبه كثير من علمائنا على ضرورة التدبر في دلالات الألفاظ والكلمات عموما، وإذا كان التدبر مهما في مطلق الألفاظ فهو

---

(١) التفسير الوسيط: د/ محمد سيد طنطاوي(٤١٧/١).

(٢) هو التابعي الجليل أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي، ولد سنة ٤٥ هـ أو سنة ٤٦ هـ لأسرة أصولها من الفرس من موالي موسى ابن باذان مولى بني جمح، وقد نشأ عمرو بن دينار في مكة، وسمع عددًا كبيرًا ممن أدركهم من صحابة النبي محمد وتابعيهم وأثنوا عليه ثناء حسنا، وجد في طلب العلم حتى غدا شيخ الحرم في زمانه، كما صارت له الفتيا، وتوفي سنة ١٢٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي (٣٠٠/٥)

(٣) تفسير القرطبي (١٦٩/٢٠).

(٤) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبد الله عبد الغني سرحان (١٣)، طبعة: دار الحضارة للنشر والتوزيع – الرياض -الأولى ١٤٣٣هـ

في الفرائد ألزم وأوجب، لأن ذكر هذه الكلمة في هذه السورة تحديدا وعدم ذكرها في أية سورة أخري، لا يخلو حتما من فائدة وحكمة، يقول العلامة الفراهي –رحمه الله – : " ثم إذا صرف التوجه لاستخراج العمود والنظام لزم إمعان النظر في دلالات الكلمات والألفاظ "[١].

وإلى هذا المعنى أشار الأديب مصطفى صادق الرافعي –رحمه الله – بقوله: " تدبر الألفاظ على حروفها وحركاتها وأصالتها ولحونها، ومناسبة بعضها لبعض في ذلك، والتغلغل في الوجوه التي من أجلها اختير كل لفظ في موضعه، أو عُدلَ إليه عن غيره، من حيث موافقته لمعنى الجملة ونظمها، ومن حيث دلالته في نفسه، وملاءمته لغيره، ثم النظر في روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصيغ التي أقيمت عليها اللغة ووجه اختيار الحرف أو الصيغة، وموضع ذلك في الغناء والإبلاغ في الدلالة من سواه ثم طريقة النسق والسرد في الجملة ووجه الحذف أو الإيجاز أو التكرار ونحوها، ما هو خاص بهذه الطريقة حسب ما توجهه المعاني، فإن كل ذلك في القرآن الكريم على أتمه، وليس فيه اضطراب أو التواء "[٢].

وعليه فكل كلمة في القرآن وضعت لحكمة وقد اختيرت على ما سواها مما يقاربها في المعنى لعلة وغرض، وكل هذا يوجب النظر وطول التدبر في كتاب الله –تعالى-.

ومن أوضح السور التي يمكن تطبيق هذه الوسيلة عليها:

(١) سورة الأنفال:

فقد ورد فيها أربعة ألفاظ من الفرائد القرآنية لم تذكر في غيرها، وبالنظر في هذه الفرائد ندرك أن هذه السورة تتحدث عن الجهاد وأحكامه، فكلها ألفاظ وثيقة الصلة بموضوع الجهاد، وكأنها مصطلحات حربية وهي (الشوكة -زحفا– متحيزا– فشرد) فلفظ " الشوكة " معناه: "الشدة والقوة، وقيل: السلاح، وقد كان المسلمون يريدون غير ذات الشوكة أي يطلبون العير التي لا قتال فيها، ولكن الله أراد لهم ذات الشوكة أي الحرب"[٣].

وقوله:"زحفا " بمعنى: "متقابلي الصفوف والأشخاص، أي يزحف بعضهم إلى بعض، وأصل الزحف الاندفاع على الألية ثم سمي كل ماش إلى آخر في الحرب رويدا زاحفا، إذ في مشيته من التماهل

(١) دلائل النظام: الفراهي (٨٠).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي(١٧٩). طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت - الثامنة١٤٢٥هـ.

(٣) معالم التنزيل: البغوي(٣٣١/٣)، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع –الرياض - الرابعة ١٤١٧هـ.

والتباطؤ ما في مشي الزاحف"[١]. وقوله:﴿مُتَحَيِّزًا﴾ يقال:" تَحَوَّزْتُ وتحيَّزت، بالياء والواو، وهما من انحزت إلى الفئة"[٢]، فالمتحيز هو المنضم إلى جماعة بغية العودة إلى مواصلة القتال[٣].

وقوله: " فشرد بهم " أي: نكل بهم من خلفهم ممن تخاف نقضه للعهد، وفي المفردات: «شرد البعير: ند، وشردت فلانا في البلاد وشردت به: أي فعلت به فعلة تشرد، كقولك: نكلت به، أي جعلت ما فعلت به نكالا لغيره، قال ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي اجعلهم نكالا لمن يعرض لك بعدهم"[٤].

قال ابن عباس: "فنكل بهم من خلفهم، وقال ابن جبير[٥] أنذر بهم من خلفهم، فكأن المعنى: فإن تظفر بهم فاقتلهم قتلا ذريعا، حتى يفر عنك من خلفهم ويتفرق"[٦].

وعليه فدلالة هذه الألفاظ واضحة تماما في أن سورة الأنفال هي سورة تتحدث عن الجهاد، ولذلك تناولت السورة غزوة بدر بشيء من التفصيل وذكرت ما كان فيها من وقائع وأحداث، وقد قيل من أسمائها " سورة الجهاد "[٧].

ولذلك قال صاحب الكشاف في هدف سورة الأنفال:" هذه السورة نزلت في القتال "[٨]، وقال صاحب التسهيل في هذه السورة:" نزلت في غزوة بدر وغنائمها"[٩].

٢- سورة الإخلاص:

هذه السورة الكريمة ورد فيها فريدة من فرائد القرآن لم تذكر في غيرها، وهي كلمة " الصمد "،

وفي «الصمد» أربعة أقوال: أحدها: أنه السيد الذي يُصْمَد إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله -ﷺ-.

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية (٥٠٩/٢)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) غريب القرآن: ابن قتيبة(١٧٨)، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٣٩٨هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣٨٣/٧).

(٤) غريب القرآن: ابن قتيبة(١٨٠).

(٥) هو التابعي الجليل هو إمام التابعين، وسيد الزهاد في زمانه، ولد سنة ٤٦هـ على الأشهر، وسمع من ابن عباس وابن عمر وعلى بن حاتم، وسمع منه جعفر بن أبي نويرة، وبشر، والأعمش، وعطاء، ولقد قتله الحجاج في شعبان سنة ٩٥ هـ، وله ٤٩ سنة. تذكرة الحفاظ: للذهبي ٥٥/١، تهذيب الكمال: الحافظ المزي ١٤٢/٧: دار الفكر – الأولى ١٩٩٤م، تقريب التهذيب: ابن حجر(٣٤٩/١): دار الرشيد – سوريا -الأولى ١٤٠٦.

(٦) البحر المحيط: أبوحيان (٣٤٠/٥).

(٧) نظم الدرر: البقاعي (١٦٧/٥)

(٨) الكشاف: الزمخشري(٢٤٢/٢).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي(٣٢٠/١).

والثاني: أنه الذي لا جوف له، والثالث: أنه الدائم، والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، وأصح الوجوه الأول، لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: القصد، يقال: اصمد صمد فلان، أي اقصد قصده، فالصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج"(١).

وعليه فدلالة هذه الفريدة واضحة في أن هدف السورة ومحورها " تحقيق التوحيد بصدق التوجه إلى الصمد "، يقول البقاعي –رحمه الله -: " مقصودها بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال، ونفي الشوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجوء والاعتماد في جميع الأحوال"(٢).

وفى الكشاف: " فضلت سورة الإخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة، فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار"(٣).

وقال العلامة الشيخ / محمد سيد طنطاوي: " هذه السورة جمعت أصل التوحيد"(٤).

ثانيا: النظر في الأسلوب الغالب على السورة:

لكل سورة من سور القرآن أسلوب خاص في تقرير معانيها وعرض حقائقها، ويمكن من خلال النظر والتدبر في الأسلوب الغالب على السورة تحديد هدفها وبيان مقصودها، وسوف أذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١- غلبة أسلوب الشرط :

وهذا ظاهر في مجموعة السور الشرطية التي بدأت بحرف " إذا " كسورة التكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة، فهذه السور تتناول الحديث عن يوم القيامة وما سيكون فيه من مواقف وأهوال، وكان سبيلها في تقرير ذلك هو أسلوب الشرط واستخدام أداة الشرط " إذا" دون غيرها من أدوات الشرط، لأنها مؤذنة بتحقق الوقوع وتأكيد الحدوث، ولهذا كان استخدام " إذا "، وعليه يمكن في ظلال ذلك أن نقول إن هدف هذه السور هو:" بيان حقية يوم القيامة وتأكد وقوعه " وهذا ليس مستنبطا فقط من فواتحها التي تتحدث عن يوم القيامة، بل مستنبط من التعبير بهذا الحرف المفيد لما تقرر، يقول العلامة الدكتور المطعني: " في مطالع هذه السور يتحدث القرآن عن مشاهد القيامة

(١) زاد المسير: ابن الجوزي (٥٠٦/٤).

(٢) نظم الدرر: البقاعي (٣٤٤/٢٢).

(٣) الكشاف: الزمخشري (٣٠٣/١).

(٤) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي(٥٣٩/١٥).

فلم يستخدم من أدوات الشرط غير "إذا " لإفادة تحقق الوقوع، وإذا خرج الحديث عن هذه المواقف فالمجال فسيح لاستخدام أدوات أخرى غير الحرف " إذا" حسب ما يقتضيه المقام "[١].

٢- غلبة أسلوب التهديد والوعيد:

ومثال ذلك ما جاء في سورة المدثر، فقد كثر استخدام هذا الأسلوب في هذه السورة، وبصيغ مختلفة، وقد تكرر التهديد في السورة لفظا ومعني، بصورة تلفت الأنظار وتسترعى الانتباه، ومنه قول الحق – ﷻ- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [٢] وقوله-تعالى- : ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [٣]، وقوله-تعالى- ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [٤] وقوله-تعالى- ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[٥] وقوله-تعالى- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٦] وقوله-تعالى- انها لاحدى الكبر[٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[٨] وقوله-تعالى- ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾[٩] فغلبة التهديد هنا مقصود، وقصده دون غيره من الأساليب فيه إلماح لهدف السورة ومقصوها، ولذلك ذكر العلامة البقاعي أن مقص﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ود السورة: "الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار"[١٠].

٣- غلبة أسلوب التقرير والتلقين:

ومثال ذلك سورة الأنعام، فقد غلب على هذه السورة أسلوب التقرير، وذلك من خلال عرض الأدلة المتعلقة بوجود الله الدالة على قدرته وسلطانه وقهره، وتشتمل معظم الآيات على لفظ الجلالة، أو الضمير " هو" العائد على الحق –سبحانه-، أو الاسم الموصول " الذي ".

وكل هذا يفيد التقرير والتأكيد على المعنى المذكور، يقول الحق –سبحانه- في أول آية من آياتها،﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

(١) خصائص التعبير القرآني: د/ عبد العظيم المطعني (٢١٦/١). طبعة: مكتبة وهبة –القاهرة، الأولى ١٤١٣هـ.
(٢) سورة المدثر: آية رقم (١١).
(٣) سورة المدثر: آية رقم (٩).
(٤) سورة المدثر: آية رقم (١٧).
(٥) سورة المدثر: آية رقم (٢٦).
(٦) سورة المدثر: آية رقم (٣١).
(٧) سورة المدثر: آية رقم (٣٥).
(٨) سورة المدثر: آية رقم (٣٨).
(٩) سورة المدثر: آية رقم (٥٤).
(١٠) نظم الدرر: البقاعي(٣٩/٢١).

﴿١﴾[١] ثم تتوالى الآيات في بيان أدلة وجود الحق –ﷻ–، ومنها قوله –تعالى– هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون[٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾[٣]، وقوله ﴿*وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[٤].

وكثر في السورة كذلك أسلوب " التلقين " والذي يقول الله فيه لرسوله عند مجادلته للمشركين " قل كذا وكذا "، وربما تكرر هذا اللفظ في آية واحدة مرتين كقوله –تعالى- ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾[٥]بل ربما جاء أربع مرات في آية واحدة ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾[٦].

وكل هذا يؤكد أن هدف هذه السورة الكريمة:" تقرير ألوهية الحق وربوبيته والدعوة إلى توحيده من خلال ما نصبه من أدلة ودلائل"[٧]

وقريب من هذا المعنى يقول العلامة البقاعي في هدف السورة: " مقصودها الاستدلال على ما دعا إليه الكتابُ في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره"[٨].

٤- غلبة أسلوب النداء:

في سورة الأحزاب غلب أسلوب النداء على النبي –ﷺ– فقد ورد خمس مرات، في حين أنه ورد في القرآن كله أربع عشرة مرة، مما يلفت الأنظار ويوجهها للتأمل والتدبر في هذه الظاهرة.

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١).
(٢) سورة الأنعام: آية رقم (٢).
(٣) سورة الأنعام: آية رقم (٦).
(٤) - سورة الأنعام: آية رقم (٥٩).
(٥) سورة الأنعام: آية رقم (١٢).
(٦) سورة الأنعام: آية رقم (١٩).
(٧) نحو تفسير موضوعي: الشيخ محمد الغزالي (٢٩).
(٨) نظم الدرر: البقاعي (١/٧).

وجاء النداء الأول: لبيان تحديد واجباته نحو ربه، وذلك في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾(١).

وجاء النداء الثاني: للتنويه بمقام أزواجه، وذلك في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾(٢).

والنداء الثالث: لبيان مهمته وتحديد وظيفته، وذلك في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾(٣).

والنداء الرابع: في بيان أحكام زواجه وسيرته مع نسائه، وذلك في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾(٤).

والنداء الخامس: في تبليغه لبعض آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات، وذلك في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾(٥).

وفى غلبة النداء على النبي–ﷺ- في هذه السورة ما يومئ إلى أن هدف هذه السورة متعلق برسول الله، ويمكن القول في ضوء النداءات المتكررة للنبي إن هدف هذه السورة الكريمة هو " إظهار مقام النبي -ﷺ- ومكانته وحقوقه والتأكيد على حفظه من أذي الناس ".

وشاهد ذلك أننا لو تأملنا قليلا في السورة الكريمة لوجدنا حفاوة هذه السورة بالنبي –ﷺ– وتركيز حديثها عن مقامه الكريم، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

أولا: افتتاح السورة بالنداء على النبي –ﷺ-.

ثانيا: تكرار النداء على النبي –ﷺ-.

ثالثا: قول الله -تعالى- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ﴾(٦).

---

(١) سورة الأحزاب: آية رقم (١).

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم (٢٨).

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (٤٥).

(٤) سورة الأحزاب: آية رقم (٥٠).

(٥) سورة الأحزاب: آية رقم (٥٩).

(٦) سورة الأحزاب: آية رقم (٦).

رابعا: قوله ﷻ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[١] فلم يرد في غير هذه السورة ذكر ختم النبوة بالنبي-ﷺ-.

خامسا: وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾[٢]، فخصّه هنا وقدّمه على الأنبياء الذين هم أولو العزم وما تقديمه على أولي العزم إلا دليل على فضله وخصوصيته.

سادسا: وأيضاً قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[٣] فكونه أمر المؤمنين بأن يكون النبي لهم أسوة هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام وفضائله والعناية به.

سابعا: تطهير آل بيته ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[٤].

ثامنا: ذكر أوصافه الستة ولم تذكر هكذا مجتمعة في غير هذه السورة، وذلك في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[٥] فهذه الأوصاف في إظهار شأنه عليه الصلاة والسلام وبيان فضائله. تاسعا: قوله في آخر السورة الإخبار أن الله وملائكته يصلون عليه وأيّ شرف وأيّ مكانة أعظم من هذه المكانة أن الله يذكره والملائكة ثم يأمر المؤمنين بالصلاة عليه.

عاشرا: ورد في هذه السورة التأكيد على حماية جنابه من أذية الناس والمنافقين. ومنها قوله: في أول السورة ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾[٧].

وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[٨] كلها في حماية جناب النبي ﷺ مما يؤكد لك أن هذه السورة تركز على هذا المقصد.

---

(١) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٨).
(٢) سورة الأحزاب: آية رقم (٧).
(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (٢١).
(٤) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٣).
(٥) سورة الأحزاب: آيتان رقم (٤٥-٤٦)
(٦) سورة الأحزاب: آية رقم (١).
(٧) سورة الأحزاب: آية رقم (٥٧).
(٨) سورة الأحزاب: آية رقم (٦٩).

يقول الشيخ عبدالحميد طهماز –رحمه الله -: " هذه السورة الكريمة تدور في فلك النبي –ﷺ– في أهم ميدانيين من ميادين حياته الشريفة الزاخرة بجلائل الأعمال، ميدان الجهاد ومواجهة المخاطر والصعاب، وميدان الأسرة ومعاملة الأزواج "[١].

ثالثا: التدبر في الأحكام الشرعية المذكورة في السورة:

معلوم أن كل موضوعات السورة وقضاياها تخدم هدفها العام، فكل موضوع في السورة جيء به لحكمة، واختير بعناية سواء كان قصصا أو تشريعا أو غيرهما، ولذلك وجب التدبر فيما يساق في السورة من أحكام شرعية تذكر فيها ولا تذكر في غيرها، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول : سورة النساء ، فهذه السورة الكريمة اصطفاها الله –تعالى- من بين سور القرآن بذكر بعض الأحكام الشرعية التي لم تذكر في سورة أخري، وأخص بالذكر من هذه الأحكام: (تشريع المواريث – صلاة الخوف) وتطبيقا لما تقرر من ارتباط كل موضوع بهدف السورة فلا شك أن في هذه الأحكام إيماء إلى الهدف، وبالرجوع لما ذكره علماؤنا فإن هدف السورة " تحقيق استقرار المجتمع الاسلامي وإرساء دعائم أمنه "، ولا يخفى ما في الميراث من تحقيق لأمن المجتمع الإسلامي واستقراره، إذ بتشريع الميراث تحفظ الحقوق وتؤدى إلى أهلها وفق نظام إلهي بديع، فقد جاء تنظيم الميراث بتفصيل دقيق لكل الأنصبة ومستحقيها وأوجه استحقاقها حسما لمادة الخلاف وقطعا لكل ما يؤدي إلى النزاع، وما ذلك إلا للحفاظ على المقصد الأساس الذي قام عليه نظام الميراث، ألا وهو صيانة آصرة القرابة وروابطها من أي تصدع أو تفكك، وهذا يؤكد ما ذكره علماؤنا في بيان هدف هذه السورة الكريمة.

وكذلك " تشريع صلاة الخوف " وهذه صلاة خاصة ذات أحكام خاصة لم تذكر في غير هذه السورة الكريمة، وقد كان الأصل في تشريعها حفظ أمن الجيش الإسلامي من مباغتة الأعداء ومداهمتهم فهي صلاة الخوف لتحقيق الأمن، قال الله –تعالى- ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾[٢]

المثال الثاني: سورة النور.. هذه السورة الكريمة فيها جملة من الأحكام الشرعية تلائم هدفها ومقصودها، فهدف هذه السورة (حفظ المجتمع الإسلامي من الجرائم والفواحش) ولذلك اختصت من بين سور القرآن بذكر بعض الأحكام الشرعية التي تدل دلالة واضحة على هدف السورة، ومن

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم: عبد الحميد طهماز (١٥/١).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٠٢).

هذه الأحكام: "حرمة الزنا وبيان حده- حرمة القذف وبيان حده – وجوب غض البصر وحفظ الفرج - آداب الاستئذان – مشروعية النكاح والحث عليه " فكل هذه التشريعات كان لها أثر بالغ في الدلالة على هدف السورة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على ما وفق، وله الفضل والمنة على ما هدى وأرشد، وأصلى وأسلم على خاتم أنبياء الله ورسله سيدنا محمد – ﷺ – وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فقد تمت بعون الله – ﷻ – هذه القراءة المتواضعة فيما اعتمد عليه علماؤنا في تحديد هدف السورة، وأسأل الله – تبارك وتعالى – أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع عرضاً جيداً، وأن أكون قد سددت أو قاربت في الوفاء بالمطلوب، هذا وقد أكرمني الله – تبارك وتعالى – ببعض النتائج والتوصيات أجملها على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

١- وحدة الهدف في السورة القرآنية إحدى الحقائق القرآنية الدالة على إعجاز الذكر الحكيم، وهى تعنى أن السورة القرآنية جاءت لهدف عام وموضوع أصيل، وكل ما بث في أنحاء السورة من قضايا خاصة ترتبط بهذا الهدف وتندرج تحته، ولذا فهى تتشكل بجوهره، وتسهم في جوانبه ومجالاته.

٢- يرجع الفضل في ظهور الدراسات الموضوعية المتعلقة بوحدة الهدف إلى علماء المناسبات المتقدمين كالإمام النيسابوري وأبى بكر بن العربي وغيرهما، فهم أول من لفت الأنظار إلى هذا التناسق العجيب والترابط الوثيق بين آيات السورة الواحدة.

٣- هناك بعض العلماء المتقدمين الذين كان لهم جهود طيبة في دراسة الهدف العام للسورة، وإن لم تكن كتبهم كتب تفسير مثل الإمام الباقلاني في إعجاز القرآن والشاطبي في الموافقات.

٤- من أبرز علمائنا القدامى المهتمين ببيان الهدف العام للسورة هؤلاء الأئمة الأعلام: الإمام الرازي، الفيروزآبادي، وابن الزبير الغرناطي، والفراهي، وابن تيمية، وابن القيم، والسيوطي، والبقاعي.

٥- من أبرز علمائنا المعاصرين المهتمين ببيان الهدف العام للسورة هؤلاء السادة العلماء : الطاهر بن عاشور، ومحمد عبده، ومحمد عبدالله دراز، ومحمود شلتوت، وعبدالمتعال الصعيدي، ومحمد محمود حجازي، ومحمد الغزالي، وسعيد حوي، وعبدالحميد طهماز، ومصطفى مسلم.

٦- يعد الإمام البقاعي أول من قام بتطبيق وحدة الهدف على سور القرآن الكريم جميعها، من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة الناس وذلك في كتابه نظم الدرر، وكل ما كتب قبله في هذا الجانب كان تطبيقا على بعض سور القرآن.

٧- تحديد الهدف العام للسورة أمر اجتهادي، يحتاج إلى إعمال فكر وطول تأمل وحسن نظر، ولذا فهو مما تتفاوت فيه الأفهام وتختلف فيه الآراء.

٨- تنوعت أقوال العلماء وتعددت آراؤهم حول تحديد أهداف سور القرآن، واختلافهم هنا من قبيل اختلاف التنوع وليس من قبيل اختلاف التضاد، فمعظم أقوالهم تختلف في العبارة فقط.

٩- اعتمد العلماء في تحديد الهدف العام للسورة على جملة من الوسائل، يمكن أن تشكل في النهاية منهجا متكاملا في بيان هدف السورة، وقد جمعت هذه الوسائل في (ثماني عشرة) وسيلة من خلال تتبع أقوال المفسرين وغيرهم من العلماء المهتمين بهذه القضية، وهذه الوسائل هي: النظر الدقيق في افتتاحية السورة، والقراءة الجيدة لخاتمة السورة، والربط بين فاتحة السورة وخاتمتها، والاستعانة بخواتيم السورة لبيان هدف التي تليها، والرجوع إلى زمان النزول، والتأمل في اسم السورة الذى اشتهرت به، والنظر في الأسماء الأخرى، والربط الدقيق بين القضايا الخاصة في السورة، والتمييز بين القضايا الخاصة الأصيلة والمعاني الفرعية، والاستعانة ببعض السور في بيان أهداف بعض السور الأخرى، والوقوف على فضائل السورة، والعلم بموقع السورة وترتيبها، وإدراك دلالات تكرار الألفاظ والآيات، والتدبر في تكرار المعاني، والنظر في القصة القرآنية، والوقوف على سبب النزول، وفهم مقاصد القرآن، والوقوف على مرويات السلف.

١٠- من خلال معايشتي لهذا الموضوع يسر الله –تعالى – الوقوف على ثلاث وسائل أخرى، وهي: التأمل في الفرائد القرآنية، والنظر في الأسلوب الغالب على السورة، والتدبر في الأحكام الشرعية الواردة في السورة.

١١- تختلف هذه الوسائل في الدلالة على هدف السورة، فبعضها يدل دلالة واضحة على هدف السورة، وبعضها يحتاج في اعتماده إلى طول فكر وروية.

١٢- المقصود أن هذه الوسائل في جملتها تعين على الوصول إلى هدف السورة، ولا يقصد بالضرورة تحققها جميعها في كل سورة، بل ربما يتحقق بعضها في سورة، وبعضها في سورة أخرى.

ثانياً: التوصيات:

١- تناول كل وسيلة من الوسائل التي اعتمد عليها العلماء في بيان أهداف السور بدراسة خاصة.

٢- أن يُفرَد كل مفسر ممن عُنى بهذه القضية بدراسة مستقلة تبين جهده ومنهجه في دراسة أهداف السور.

٣- وأوصي في النهاية أن توجه جامعتنا الموقرة – جامعة الأزهر الشريف – جهود أبنائها في أقسام التفسير وعلوم القرآن بكليات الجامعة المختلفة نحو مزيد من هذه الدراسات الموضوعية للقرآن، التي تبرز وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وترد على دعاوى المستشرقين المتعلقة بالنظم القرآني.

وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، وألا يحرمنا من شرف خدمة كتابه، إنه خير مسؤول وأقرب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة - الأولى ١٣٩٤هـ.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الثانية ١٤١١هـ.
٣. الأساس في التفسير: سعيد حوى ، طبعة: دار السلام- القاهرة - السادسة ١٤٢٤هـ.
٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبدالبر، طبعة: دار الجيل –بيروت - الأولى ١٤١٢.
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٥هـ.
٦. الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/عبدالله عبدالغني سرحان، طبعة: دار الحضارة– الرياض- الأولى ١٤٣٣هـ.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٥هـ.
٨. إعجاز القرآن: الباقلاني، طبعة دار المعارف – القاهرة - الخامسة ١٩٩٧م.
٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت - الثامنة١٤٢٥هـ.
١٠. الأعلام: الزركلي، طبعة دار العلم – بيروت - السابعة١٩٨٦م.
١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤١١هـ.
١٢. إنباء الغمر بأبناء العمر: ابن حجر، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة- الأولى ١٣٨٩هـ.
١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الأولى ١٤١٨.
١٤. أهداف كل سورة ومقاصدها: د/ عبدالله شحاتة ، طبعة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة - الأولى ١٣٩٦هـ.
١٥. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية: رجاء وحيد، طبعة: دار الفكر المعاصر – دمشق - الأولى ٢٠٠٢م.
١٦. البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د/ محمد زيان عمر، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، الأولى ٢٠٠٢م.
١٧. البحر المحيط: أبوحيان، طبعة: دار الفكر – بيروت - الأولى ١٤٢٠.

١٨. البحر المديد: ابن عجيبة (٥٢/١). طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٣هـ.
١٩. بدائع الفوائد: ابن القيم، طبعة: دار عطاءات العلم – الرياض- الخامسة ١٤٤٠هـ.
٢٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني، طبعة: دار المعرفة- بيروت، الأولى ٢٠٠٤م.
٢١. بديع القرآن: ابن أبى الأصبع ، طبعة: الدار العربية للموسوعات - لبنان - الأولى ١٤٣٠.
٢٢. البرهان في تناسب سور القرآن، طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –المغرب- ١٤١٠هـ.
٢٣. البرهان في علوم القرآن: الزركشي طبعة: دار المعرفة – بيروت – الأولى ١٩٩٠م.
٢٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة- الأولى ١٤١٦هـ.
٢٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، طبعة: المكتبة العصرية – بيروت – الأولى ١٤١٩.
٢٦. تاج العروس: الزبيدي، طبعة: دار الهداية –الكويت - الأولى ١٩٦٥م.
٢٧. تاريخ الإسلام: الذهبي، طبعة: دار الكتاب العربي – الرابعة٢٠٠١.
٢٨. التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور طبعة: الدار التونسية للنشر –تونس – الأولى ١٩٨٤م.
٢٩. تذكرة الحفاظ : الذهبي، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت، الأولى ١٤١٩.
٣٠. التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، طبعة: دار الأرقم –بيروت - الأولى ١٤١٦.
٣١. تفسير القرآن العظيم: ابن كتير، طبعة: دار طيبة - الرياض، الثانية ١٤٢٠هـ.
٣٢. تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت– طبعة دار القلم – القاهرة –الأولى ١٩٦٠.
٣٣. تفسير المراغي: محمد مصطفى المراغي، طبعة: مصطفى البابي الحلبي –مصر – الأولى ١٣٦٥هـ.
٣٤. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: صلاح الخالدي. طبعة: دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن ١٤٣٣هـ.
٣٥. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: عبدالحميد طهماز، طبعة: دار القلم - دمشق – الأولى١٤٣٥هـ.
٣٦. التفسير الواضح: محمد محمود حجازي، طبعة: دار الجيل الجديد – بيروت - العاشرة ١٤١٣هـ.

٣٧. التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي ، طبعة: دار نهضة مصر – القاهرة - الأولى ١٩٩٨.
٣٨. تقريب التهذيب: ابن حجر، طبعة: دار الرشيد – سوريا -الأولى ١٤٠٦.
٣٩. تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي، طبعة: دار الفضيلة – القاهرة - الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٠. تهذيب الكمال: الحافظ المزي، طبعة : دار الفكر – الأولى ١٩٩٤م.
٤١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري. طبعة: دار هجر – القاهرة، الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٢. الجامع الصحيح: البخاري، طبعة: دار ابن كثير- دمشق - الخامسة ١٤١٤هـ.
٤٣. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، طبعة: دار الكتب المصرية –القاهرة، الثانية ١٣٨٤هـ.
٤٤. جمهرة اللغة: ابن دريد ، طبعة: دار العلم للملايين - بيروت - الأولى ١٩٨٧م.
٤٥. جواهر القرآن: الغزالي. طبعة: دار إحياء العلوم –بيروت، الثانية ١٤٠٦هـ.
٤٦. خصائص التعبير القرآني: د/ عبدالعظيم المطعني، طبعة: مكتبة وهبة –القاهرة، الأولى ١٤١٣.
٤٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر، طبعة: دائرة المعارف –الهند، الثانية ١٣٩٢.
٤٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، طبعة: دار الفكر –بيروت، الأولى ١٤٣٢هـ.
٤٩. دلائل النبوة: البيهقي، طبعة دار الريان – الأولى ١٩٨٨.
٥٠. دلائل النظام: الفراهي، طبعة: الدائرة الحميدية –الهند - الأولى ١٣٨٨هـ.
٥١. الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفوري . طبعة دار الوفاء –الرابعة ١٤٢٢ هـ.
٥٢. زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة، طبعة: دار الفكر العربي- القاهرة – الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٣. زاد المعاد: ابن القيم ، طبعة: دار ابن حزم –بيروت - الثالثة ١٤٤٠هـ.
٥٤. السنن الكبرى: ابن ماجة، طبعة دار الرسالة العالمية - لبنان - الأولى ١٤٣٠.
٥٥. سير أعلام النبلاء: الذهبي، طبعة: مؤسسة الرسالة –بيروت - الثالثة ١٤٠٥هـ.
٥٦. السيرة النبوية: ابن هشام، طبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر – الثانية ١٣٧٥هـ.
٥٧. شذرات الذهب: ابن العماد، طبعة: دار ابن كثير – دمشق، الأولى ١٤٠٦.
٥٨. شفاء العليل: ابن القيم، طبعة: دار ابن حزم – بيروت - الثالثة ١٤٤١هـ.
٥٩. صفة الصفوة، طبعة: دار الحديث –القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ.
٦٠. الصلة: ابن بشكوال: طبعة: مكتبة الخانجي – القاهرة، الثانية ١٣٧٤هـ.
٦١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، طبعة: دار مكتبة الحياة –بيروت - : الأولى ١٤١٢هـ

٦٢. طبقات المفسرين: السيوطي، طبعة: مكتبة وهبة –القاهرة -الأولى ١٣٩٦.
٦٣. طبقات المفسرين: الداوودي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت- الأولى ١٤٠٣هـ.
٦٤. طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، طبعة دار هجر – الثانية -١٩٩٢.
٦٥. طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة، طبعة: عالم الكتب –بيروت - الأولى ١٤٠٧.
٦٦. طبقات المفسرين: للأدنه وي، طبعة: مطبعة العلوم والحكم –السعودية - الأولى ١٤١٧هـ
٦٧. علم مقاصد السور: محمد عبدالله الربيعة، طبعة: مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض - الأولى ١٤٢٣هـ.
٦٨. الكشاف: طبعة: دار الكتاب العربي –بيروت - الثالثة ١٤٠٧هـ.
٦٩. كشف الظنون: حاجي خليفة. طبعة: دار إحياء التراث العربي-بيروت- الأولى ١٤٢١هـ.
٧٠. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى١٤١٣ هـ
٧١. غريب القرآن: ابن قتيبة، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٣٩٨هـ.
٧٢. فقه السيرة: ابن القيم طبعة مكتبة الإيمان – الأولى ١٩٩٧م.
٧٣. قطف الأزهار في كشف الأسرار: السيوطي، طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر - الأولى ١٤١٤ هـ.
٧٤. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: نجم الدين الغزى طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٩٩٧.
٧٥. لسان العرب: ابن منظور، طبعة: دار صادر- بيروت - الثالثة – ١٩٩٣م.
٧٦. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، طبعة -مؤسسة الرسالة – بيروت - الأولى ١٩٩٥م.
٧٧. مباحث في التفسير الموضوعي: د/ مصطفى مسلم، طبعة: دار القلم – القاهرة- الرابعة ١٤٢٦هـ.
٧٨. مجموع الفتاوى: ابن تيمية، طبعة: مجمع الملك فهد - المدينة المنورة – السعودية، الأولى ١٤٢٥هـ.
٧٩. محاسن التأويل: القاسمي، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت -الأولى ١٤١٨هـ.
٨٠. المحرر الوجيز: ابن عطية، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ.
٨١. مختار الصحاح: الرازي ، طبعة: المكتبة العصرية - بيروت، الخامسة ١٩٩٩م.
٨٢. مدخل إلى القرآن: محمد عبدالله دراز، طبعة: دار القلم –الكويت، الخامسة ١٤٢٤هـ.
٨٣. المسند الصحيح: الإمام مسلم، طبعة: عيسى الحلبي – القاهرة - الأولى ١٣٧٤هـ

٨٤. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: البقاعي، طبعة: مكتبة المعارف –الرياض- الأولى ١٤٠٨هـ.
٨٥. معالم التنزيل: البغوي، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع –الرياض - الرابعة ١٤١٧هـ.
٨٦. معانى القرآن وإعرابه: الزجاج. طبعة: عالم الكتب –بيروت، الأولى ١٩٨٨م.
٨٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي ، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت - الأولى ١٤٠٨هـ.
٨٨. المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان: مصطفى مسلم، طبعة: دار القلم-دمشق - الأولى ١٤٢٧هـ.
٨٩. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، طبعة: عالم الكتب – القاهرة -الأولى ٢٠٠٨م.
٩٠. معجم المؤلفين: رضا عمر كحالة ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى ١٤١٩.
٩١. معجم المفسرين: عادل نويهض، طبعة: مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت -الثالثة ١٤٠٩.
٩٢. مفاتيح الغيب: الرازي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الثالثة ١٤٢٠.
٩٣. مقاصد السور " عرض ودراسة ": شافي سلطان العجمي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية. ٢٠٠٩.
٩٤. مقدمة موسوعة التفسير الموضوعي: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، طبعة جامعة الشارقة، الأولى ١٤٣١هـ.
٩٥. المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم: عبدالله الخطيب ومصطفى مسلم مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، ١٤٢٦.
٩٦. مناهج البحث العلمي: عبدالرحمن بدوي، طبعة: وكالة المطبوعات –الكويت - الأولى ١٩٧٧م.
٩٧. مناهج التفسير الموضوعي: أحمد رحماني، طبعة: عالم الكتب الحديث–الأردن - الأولى ١٤٢٩هـ.
٩٨. مناهل العرفان في علوم القرآن: عبدالعظيم الزرقاني، طبعة: مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة -الثالثة١٩٤٣م.
٩٩. منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن: عبد الله شحاته. طبعة: مكتبة وهبة – القاهرة، الأولى ١٩٨٠م.

١٠٠. منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: علي عبدالله علان، طبعة: جامعة القدس المفتوحة –الأردن - الأولى ١٤٣٣هـ.
١٠١. الموافقات: الشاطبي، طبعة: دار ابن عفان –القاهرة- الأولى ١٤١٧.
١٠٢. النبأ العظيم: محمد عبدالله دراز، طبعة: دار القلم للنشر والتوزيع - القاهرة، الأولى ١٤٢٦هـ.
١٠٣. نحو تفسير موضوعي: محمد الغزالي، طبعة: دار الشروق –مصر- الأولى ١٤١٦هـ.
١٠٤. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين اللكنوي، طبعة: دار ابن حزم –بيروت - الأولى ١٤٢٠هـ.
١٠٥. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، ط: دار السلام، الأولى ١٤٣١هـ.
١٠٦. نظم الدرر: البقاعي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٩٩٠.
١٠٧. النظم الفني في القرآن: عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب – القاهرة – الأولى١٩٨٤م.
١٠٨. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: محمد محمود حجازي، طبعة: مطبعة المدني – القاهرة، الأولى ١٣٩٠هـ.
١٠٩. وفيات الأعيان: ابن خلكان، طبعة دار صادر – بيروت – الأولى١٩٨٧.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٢٢٨
٢	التمهيد	٢٣٣
٣	المطلب الأول: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث	٢٣٣
٤	المطلب الثاني: خصائص الهدف العام للسورة القر آنية	٢٣٨
٥	المبحث الأول: أدلة وحدة الهدف للسورة القر آنية	٢٤٣
٦	المبحث الثاني: جهود العلماء في دراسة الهدف العام للسورة القر آنية	٢٤٨
٧	المبحث الثالث: منهج العلماء في بيان الهدف العام للسورة القر آنية	٢٦١
٨	المطلب الأول: النظر الدقيق في افتتاحية السورة.	٢٦١
٩	المطلب الثاني: القراءة الجيدة لخاتمة السورة .	٢٦٥
١٠	المطلب الثالث: الربط بين فاتحة السورة وخاتمتها.	٢٦٨
١١	المطلب الر ابع: الاستعانة بخو اتيم السورة لبيان هدف التي تليها.	٢٧٠
١٢	المطلب الخامس: الرجوع إلى زمان النزول.	٢٧١
١٣	لمطلب السادس: التأمل في اسم السورة الذى اشتهرت به.	٢٧٧
١٤	المطلب السابع: البحث في الأسماء الأخرى للسورة.	٢٧٩
١٥	المطلب الثامن: الربط الدقيق بين القضايا الخاصة في السورة.	٢٨١
١٦	المطلب التاسع: التمييز بين القضايا الخاصة الأصيلة والمعاني الفرعية.	٢٨٦
١٧	المطلب العاشر: الاستعانة ببعض السورفي بيان أهداف بعض السورالأخرى.	٢٨٨
١٨	المطلب الحادي عشر: الوقوف على فضائل السور.	٢٩٠
١٩	المطلب الثاني عشر: العلم بموقع السورة وترتيبها.	٢٩٣
٢٠	المطلب الثالث عشر: إدراك دلالات تكرار الألفاظ والآيات.	٢٩٥
٢١	المطلب الر ابع عشر: التدبر في تكرار المعاني.	٢٩٩
٢٢	المطلب الخامس عشر: النظر في القصة القر آنية.	٣٠١
٢٣	المطلب السادس عشر: الوقوف على سبب النزول.	٣٠٢
٢٤	المطلب السابع عشر: فهم مقاصد القرآن.	٣٠٤
٢٥	المطلب الثامن عشر: الوقوف على الرو ايات الواردة في بيان هدف السورة.	٣٠٦

٢٦	المبحث الرابع: وسائل أخرى لبيان الهدف العام	٣٠٨
٢٧	أولا: التأمل في الفرائد القرآنية.	٣٠٨
٢٨	ثانيا: النظر في الأسلوب الغالب على السورة.	٣١١
٢٩	ثالثا: التدبر في الأحكام الشرعية الواردة في السورة	٣١٦
٣٠	الخاتمة	٣١٧
٣١	التوصيات	٣١٩
٣٢	المراجع	٣٢٠
٣٣	فهرس الموضوعات	٣٢٦

****